بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة المجمع الفقهي الإسلامي

نصف سنوية يصدرها مجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي

السنة السابعة - العدد التاسع

١٤١٦هجري - ١٩٩٥ميلادي

عنوان المراسلة :

مجلة المجمع الفقهي الإسلامي

ص. ب : ٥٣٧ - ٥٣٨ مكة المكرمة - برقياً : رابطة مكة
هاتف : ٥٤٤٥٣٣٥ - فاكس : ٥٤٣١١٧٦
تلكس : ٤٤٠٣٩ إس. جي.
المملكة العربية السعودية

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر
والآراء المنشورة في المجلة تعبر عن وجهة
نظر أصحابها

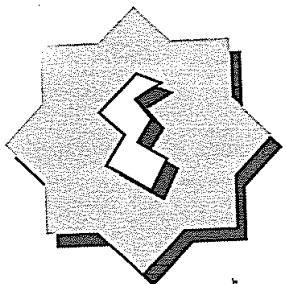

السنة النبوية في العصر الحديث
بين أنصارها وخصومها

الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة
الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي بجدة

السنة النبوية في العصر الحديث
بين أنصارها وخصومها

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. وصلى الله وسلم على عبده ورسوله، وصفيه وخليله، سيدنا ومولانا محمد الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فدعا وقضى، ووعظ وهدى، وأمر ونهى، وحثنا على اتباع سبيله بقوله: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا مامسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**»(١).

أيها المؤمنون، ياأتباع محمد.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبعد:

طوبى لنا بميراث النبوة تمتد إليه أيدينا، وتتدبره عقولنا، وتتطلع إلى أسراره نفوسنا، وتمتلىء به صدورنا، وتجري به ألسنتنا، فلا نفتر عن ذكره، ولا ننتهي من الرجوع إليه في مجالسنا، وفيما قل أو جل من أمورنا، وإن الوحي، الظاهر والباطن، ليزكي النفس، ويشرح الصدر، ويهدي إلى الحق، ويبني الفرد، ويقيم الجماعة، ويشيد النهضة الإسلامية، ويمد الأمة بطاقات الحزم والجد والعمل الدؤوب من أجل التنمية في عالمنا المعاصر، واسترجاع معاني العزة وأسباب الريادة.

وإن هذا الميراث العظيم الجليل بقرآنه وسنته ليصدر عن مشكاة واحدة هي الوحي بنوعيه. وإنهما لمتلازمان، وإن السنة لتطبيق مثالي للاسلام، وعملي للقرآن، وتفصيل بياني لآياته، وتقرير لما لا إلتواء فيه ولا معارضة منه لروحه وأحكامه، وهي أيضا منهج هدى رسمه نبينا، صلى الله عليه وسلم، بسيرته المثلى وعلاقاته بربه ومع نفسه وبالخاصة والعامة. وإن السنة للمرجع والفيصل

---

(١) ط: ٨٩٩.

عند اختلاف المتأولين لنصوص القرآن، وإن صاحبها صلى الله عليه وسلم لأدرى بمعاني الكتاب وأسراره، وأفضل وأعلم من صدر عنه التأويل العملي لتعاليمه. فهو الذي أوحي له به، وقام بتبليغه لحينه بأمر من ربه عز وجل في قوله: ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتكفرون** ﴾(١). وقوله: ﴿ **وماأنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون** ﴾(٢).

وإن في هذا القرآن المبين لشهادة صريحة بتعبد الله خلقه بسنة نبيه، واقتضائه منهم العمل بها، والامتثال لأمره ونهيه فيها. قال تعالى: ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله** ﴾(٣)، وقال: ﴿ **قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾(٤)، وقال: ﴿ **وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا** ﴾(٥). قال الشيخ ابن عاشور: «وهذه الآية جامعة للأمر باتباع مايصدر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، من قول أو فعل، فيندرج فيها جميع أدلة السنة»(٦).

والإسلام الذي هو تسليم لله واستسلام له، واعتراف للخالق بالوحدانية المطلقة في كل شيء وللرسول بالتبليغ لأمر ربه والدعوة لدينه، جملة حقائق وتعاليم يدين بها المرء فلا تقبل زيادة ولا نقصانا، ولا يكون له معها خيرة في الأمر من أوامر الله أو رسوله، إن شاء فعل وإن شاء ترك، لقوله جل وعلا: ﴿ **وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا** ﴾(٧).

وإن إخلاص الدين لله لا يكون إلا بالانقياد الكامل والامتثال التام والاتباع المطلق لما أمر به الله ورسوله، وإن أوامر هذا الدين ونواهيه لجارية على اعتبار

---

(١) النحل: ٤٤
(٢) النحل: ٦٤.
(٣) الأنبياء: ٨٠.
(٤) النور: ٥٤.
(٥) الحشر: ٧.
(٦) التحرير والتنوير: ٢٧/ ٨٧.
(٧) الأحزاب: ٣٦.

مقاصد شرعية جليلة ودقيقة تحقق للمؤمنين مافيه صلاحهم الروحي والاجتماعي، وتقيهم المفاسد والمخاطر. وهذا مانبه اليه القرآن الكريم في قوله: ﴿ **الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم** ﴾[١]. والرسول الكريم هو الداعي إلى الخير والقائد إلى الخير. وهو الأسوة الحسنة. ومتى ماثبتت سنته، وصحت الأحاديث المنقولة عنه، ساعدت الآخذين بها من المتبعين لسبيله على بلوغ أسباب الهداية، وإدراك المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها، والتي بوأها صلى الله عليه وسلم أصحابه وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وذلك ماعناه، عليه الصلاة والسلام عند تعريفه للفرقة الناجية بقوله: « ماأنا عليه وأصحابي »[٢].

وهكذا يتضح لنا، ولكل من فقه الإسلام وأدرك مقوماته وخصائصه ومميزاته أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بسنته من أقواله وأفعاله وسلوكه المثال الصادق واللسان الناطق بتلك الحقائق المميزة الفاضلة جميعها. وإن الخبراء وأهل الحق والمعرفة ليعتبرون لذلك السنة هيكل بناء الإسلام، ويجدون فيها، مدى الدهر، الغذاء الروحي والعلاج النفسي والسلوكي الكامل للمؤمنين، وهي عندهم، وعند الصادقين من غيرهم، ممن عرفوا بالنزاهة الفكرية، والتزموا فيما صدروا عنه من بحوث ودراسات بالموضوعية العلمية، الطريق الوحيدة لادراك أسباب النهضة والعزة في العصور الأولى للتاريخ الإسلامي، ومعرفة دواعي التخلف والانهزام والانحلال والتبعية فيما لحقها من أطوار، وإنا لنزداد إيماناً بذلك، ويقانا بالإسلام، واعتدادا بسنة نبينا صلى الله عليه وسلم متى سبرنا أغوار الرسالة المحمدية وعلمنا إلى أي حد كان اهتمام رسولنا شديدا بالحياة الانسانية واتجاهاتها المكتشّفة في المظهرين: الروحى والمادي، ولمسنا تطرق

---

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) حديث ليأتين على أمتى على بنى إسرائيل. تَ: ٥/٢٦. ٤١ كتاب الإيمان، ١٨ باب ماجا فى افتراق هذه الأمة ح٢٦٤١.

هديه في الحياة كلها في مظاهرها الخلقية والعملية الفردية والاجتماعية بما يخرج الناس من الحيرة، ويرفع عنهم القلق، ويملأ قلوبهم طمأنينة ورحمة، ويبني لهم أكرم حياة مدنية وأكمل نظام اجتماعي، هو النظام الإسلامي المتميز.

ولنتمكن من تصور هذا النظام، في الدقيق والجليل من جزئياته وفرائده، يكون حتما علينا أن نعود إلى ذلك التراث النبوي الفريد الذي جمعه لنا أصحاب رسول الله، وراه عنهم أتباعهم ومن سلك سبيلهم قصد الاستمداد منه، والتحلي به، والتخلق بآدابه، والعمل بحسبه في كل الشؤون والتصرفات. فلقد أقاموا بصنعهم الجميل للاسلام دولته الزاهرة، وللأمة الإسلامية حضارتها الباهرة، وإن هؤلاء وأولئك لنجوم الإهتداء، وطريقنا إلى معرفة السنة، والسند القائم بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يصلنا بها ويجليها لنا ويقدم عن طريقها للخلف فيوضات الحكمة النبوية وتعاليمها الشريفة السنية.

و« إن الصحابة، رضوان الله عليهم، وكلهم عدول، قد سمعوا كما قال ابن القيم من النبي، صلى الله عليه وسلم، الأحاديث الكثيرة، ورأوا منه من الأحوال المشاهدة، وعلموا بقلوبهم من مقاصده ودعوته مايوجب فهم ماأراد بكلامه مايتعذر على من يعدهم مساواتُهم فيه. فليس من سمع وعلم ورأى من حال المتكلم كمن كان غائبا لم ير ولم يسمع، أو سمع وعلم بواسطة أو وسائط كثيرة. وإذا كان للصحابة من ذلك ماليس لمن بعدهم كان الرجوع إليهم في ذلك دون غيرهم متعينا قطعا »(١).

وعن هؤلاء الأئمة المتقدمين حملة الكتاب ورواة السنة، الذين لا يدانيهم أحد في المنزلة والرتبة أخذ التابعون وأتباع التابعين ومن انخرط في سلكهم من العلماء المحدثين والحفاظ المعتمدين والأثبات المدققين، ممن شهد لهم الخاص والعام بالثقة والإتقان والحفظ والضبط، وأطبق جمهور علمائنا على كونهم: « من أعظم الناس صدقا وأمانة وديانة، وأوفرهم عقولا، وأشدهم تحفظا وتحريا للصدق ومجانبة للكذب، وإن أحدا منهم لا يحابي في ذلك أباه ولاابنه

(١) ابن القيم: الصواعق المرسلة: ٥٥٩.

ولا شيخه ولا صديقه، وأنهم حرروا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريرا لم يبلغه أحد سواهم، ولا من الناقلين عن الأنبياء ولا من غير الأنبياء. وهم شاهدوا شيوخهم على هذه الحال وأعظم، وأولئك شاهدوا من فوقهم كذلك وأبلغ، حتى انتهى الأمر إلى من أثنى الله عليهم أحسن الثناء وأخبر برضاه عنهم واختياره لهم واتخاذه إياهم شهداء على الأمم يوم القيامة»(١).

فإذا جاء عن طريق هؤلاء من الأخبار والسنن ماتم نقده وتمحيصه، ووصلنا من الأحاديث الثابتة عنهم ماعرف صدقه وصحت روايته، لزم العمل به لما فيه من تزكية للنفوس، وتلقين للحكمة، وبيان لأسباب نزول القرآن، وتفسير لألفاظه ومعانيه، وتفصيل لأغراضه، وغوص على أسراره ودقائقه، وشرح لمجمله، وتقييد لمطلقه، وتخصيص لعمومه، وتعيين لمبهمه. وقد ورد عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، بيان وجه الأخذ بالسنة عند مجادلة الضالين وتحريف المبطلين. وذلك قوله: «سيأتي ناس يجادلون بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن، فأصحاب السنن أعلم بكتاب الله»(٢).

وقد أجمعت الصحابة ومن بعدهم على العمل بالسنة، وكذلك أئمة الدين وعلماء الأمة. قال شيخ الاسلام ابن تيمية: «فهؤلاء يعتمدون السنة ولا يتعمدون مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته دقيق ولا جليل، وإنهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباعه، وعلى أن كل واحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٣).

فهو الهادي الذي أقام الله به الدين، وأنقذ به الأمة، وهو المرجع في الأفهام والأحكام، وفيما أغلق إدراكه على الناس. وهو النبي الذي أطلعه الله على أسرار حكمته وخصائص خلقه، وأفاض على قلبه من الأنوار ما سما به على الأفئدة الواعية والعقول الراجحة، وهدى به الانسانية كلها إلى مافيه

---

(١) ابن القيم: الصواعق: ٥٦٩ – ٥٧٠.

(٢) الدرامي: المسند: ٢٨: البغوى: شرح السنة: ١/٢٠٢ على حسب الله. أصول التشريع الإسلامي: ٣٨.

(٣) ابن تيمية، رفع الملام.

صلاحها وعلو شأنها. فلا خير إلا في اتباعه، ولا هداية إلا بملازمة سبيله. ﴿**قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم**﴾(١).

فلا بدع بعد ذلك إذا رأينا العلماء يقبلون على السنة تعريفا وتقعيدا، رواية ودراية، ضبطا ونقدا، تصحيحا وتضعيفا. ولا بدع أن نجد لهم في ذلك الدواوين النافعة المقيدة: من الموطآت، والمسانيد، والصحاح، والسنن، والأمالي، والفوائد والأجزاء، والفرائد، والمجالس ونحوها، ونراهم يبحثون أسانيد الأخبار ومتونها يُذهبون عنها الزيف، وينفون عنها تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ونقف لهم على ماصنفوه من كتب الطبقات والمعاجم والمشيخات، تعريفا بالرجال، وتمحيصا للأحاديث إلى جانب ماابتكروه من كتب علم السنة ومصطلحاتها، أو وضعوه في التجريح والتعديل.

وبفضل هذه العناية الفائقة اتضح الحق وذهب الشك، ودون الحديث تدوينا لا يزيد الناظرين فيه إلا إطمئنانا وثقة بما اعتمده المحدّثون من المصادر الموثوق بها، واستدلوا به من الأخبار الصحيحة، كما تسنّى للفقهاء وعلماء الشريعة والمجتهدين في كل عصر أن يمتثلوا سنة نبيهم ويُحكموها فيما بينهم، ويتركوا أقوال الناس لها ويعرضوها عليها، فما وافقها أخذوا به وماخالفها طرحوه. وذلك مايتحقق به قيام أمر الاسلام وتميزه عن غيره من الشرائع والأديان. وهو مادعا سبحانه إليه المؤمنين في قوله: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾(٢)، وقوله في وجوب الاحتكام إلى الكتاب والسنة والرضا بما جاء فيهما من تشاريع وأحكام: ﴿**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾(٣). وإنك لن تجد عند البحث في كتاب الله والتدبر له والاستنباط

---

(١) المائدة: ١٥ – ١٦.
(٢) النساء: ٨٠.
(٣) النساء: ٦٥.

منه إماما من أئمة الفقه، أو مذهبا من المذاهب الفقهية في مختلف الأصقاع والأمصار، إلا واعتماده على الحديث أساسي لا يكاد يتخلف في فرع من الفروع أو مسألة من المسائل. وإن للكثير منهم مسانيد تجمع أدلتهم، وتشير إلى وجه الحكم فيما عرضوا له أو عرض لهم من القضايا. ولم يتخلف الأصوليون أيضا عن الاهتمام بالسنة وتفصيل القول فيها فكتبوا في حجيتها وثبوتها وفصّلوا القول في دلالتها وشروط قبولها وأقسامها. هؤلاء وأولئك لا يُعنَون بها ولا يحفلون منها إلا بما ورد مورد التشريع مما يكلفُ الناسُ باتباعه والعمل به. وقد نبه على هذا جماعة من علماء الشريعة في القديم والحديث منهم:

النووي في باب وجوب امتثال ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرعا دون ماذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي(١).

والقرافي في الفرق السادس والثلاثين عند تصنيف الحديث إلى ماصدر عنه، صلى الله عليه وسلم، منه بوصف الامامة أو القضاة أو الفتوى والتبليغ(٢).

وفي الاحكام في تمييز الفتاوي من الأحكام في السؤال الخامس والعشرين(٣).

وابن القيم في زاد المعاد في سياق الحديث عن غزوة حنين(٤).

وفي تفصيل هذين الامامين القولَ في السنة التشريعية لم يتعرض واحد منهما لما ليس منها من باب التشريع.

وشاه ولي الله الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة حيث قسم الحديث إلى ماسبيله تبليغ الرسالة، وفيه قوله تعالى: ﴿**وماآتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا**﴾(٥)، وما ليس من باب تبليغ الرسول، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «**إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به. وإذا أمرتكم**

(١) شرح مسلم: ١٥/١١٦.
(٢) الفروق: ١/٢٠٥ – ٢٠٩.
(٣) الإحكام: ٨٦ – ١٠٩.
(٤) زاد المعاد: ٣/٤٨٩.
(٥) الحشر: ٧.

بشيء من رأيي فإنما أنا بشر»[١].

ومحمد رشيد رضا في تفصيله حكم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿**واتبعوه لعلكم تهتدون**﴾[٢]، وتفسير قوله عز وجل: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾[٣].

ومحمود شلتوت في تفسيمه السنة إلى تشريع وغير تشريع[٤].

ومحمد الطاهر ابن عاشور في حديثه عن انتصاب الشارع للتشريع[٥].

ومن هذه المقالات المفصلة والتقريرات العلمية يتبين أن الهدي النبوي للأمة وتعليمها وتأديبها غير منحصر في شرح السنة للقرآن، وفيما ورد منها من تشاريع وأحكام أوضحتها أو انفردت بها، بل إننا نجد هذا الوصف المميز للوحي الخفي أو الباطن يتجلى في مختلف الأغراض التي وردت بها السنة وفيما وقع ذكره في دواوينها من أحاديث الهدي، والصلح، والاشارة على المستشير، والنصيحة، وتكميل النفوس، وتعليم الناس الحقائق العالية، والتأديب، كما نجده في السيرة العطرة التي كانت محل الائتساء وسبيل الاقتداء، اقتداء أئمة الصحابة، رضوان الله عليهم، بالرسول الأعظم والنبي الأكرم، صلى الله عليه وسلم.

وإن بناء الفرد المسلم بتعليم الرسول له، وتربيته إياه، وتزكية خلقه، وتركيز معاني الايمان والاسلام والاحسان في خلده، وتعهده بالحكمة والموعظة الحسنة، قد أينع ثمره بتكوين الرعيل الأول من المسلمين ومن بعدهم: من الخلفاء الراشدين والأئمة المجتهدين والأتقياء الصالحين والأولياء المقربين. فما من أحد منهم إلا آخذ بقواعد الاسلام ونظمه وآدابه وأحكامه، يتدبرها ويتعهد نفسه بها تدبرا وتعهدا يضعانه في كل حين أمام الصورة الكاملة للمسلم

---

(١) م. ٤٣ كتاب الفضائل، ٣٨ باب وجوب امتثال ما قاله شرعا: ٢/١٨٣٥ح. ١٤٠: حجة الله البالغة: ١/١٢٨.

(٢) تفسير المنار. الأعراف: ١٥٨..

(٣) المائدة: ٣٠، تفسير المنار: ٩/٣١٧.

(٤) الإسلام عقيدة وشريعة: ٤٩٩ – ٥٠٥.

(٥) مقاصد الشريعة: ٢٨ – ٣٩.

التي أوضحها لهم الرسول صلى الله عليه وسلم، بسيرته الشريفة وأقواله وأفعاله السنية وتصرفاته الموحية الملهمة البليغة. وهذا ماتقتضيه طبيعة التربية الاسلامية التي قامت كما يقول الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور «على الأصول الثلاثة من التقلين والتمثيل والتمرين التي جاء بها الوحي الالهي، وكان استمدادها من القرآن والسنة. ولئن شاركت السنة والقرآن في الأصل الأول بما قرراه من مبادىء، وبسطاه من دعوات، ورسخاه من قواعد فإن السنة النبوية قد انفردت بتحقيق الأصلين الآخرين اللذين هما التمثيل والتمرين. وينبغي أن يعلم أن أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وإقراراته موفية بالأصول الثلاثة.

فالأقوال هي تلقين، وإلقاء للحقائق، وتعريف بالواجبات، وإرشاد للقواعد.

وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم هي تمثيل ليكون فيها النبي صلى الله عليه وسلم المثال الصالح للأمة فيما يأتي من الأعمال ومايترك، ومايحقق من امتثال الواجبات، ومايحقق من اجتناب النواهي.

وقد قال الله تعالى: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة**﴾(١).

وأما الاقرارات فإنما هي عبارة عن أعمال غير النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين التي تكون محلا لمراقبته ورضاه عنها إذا كانت مرضية، أو إنكاره إياها إذا كانت منكرة، فإن هذا يرجع إلى معنى التمرين»(٢).

وهكذا امتلأت النفوس إيمانا وإيقانا، ووعيا كاملا بالدين وبمنهجه، كما ارتكزت حركاتها على اليقظة الشديدة وضبط النفس. فلا تصدر عنها الأعمال غالبا إلا عن إرادة وقصد، ولا تكون منها إلا خاضعة لرقابة دينية ذاتية دائمة.

وإن أفراد ذلك الجيل لا يأتون من الأمر شيئا إلا أن يكون فيه رضا لله أو خير لمن حولهم من الناس. وعلى هذا الأساس قام المجتمع الاسلامي الأول في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورغم ماكان بين العرب من تفاوت

---

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) محاضرة مسجلة عن التربية الإسلامية.

وتمايز في الثروة والجاه والقبيلة والمكانة الأسرية تمكنت سياسة المربي العظيم والقائد الحكيم والرسول الرحيم صلى الله عليه وسلم من أن تقتلع من القلوب كل معاني الجاهلية، وتسوي بين الناس جميعا. فاتحدت الطباع والعادات، وتماثلت وتدانت بالاسلام المراتب والدرجات، وأصبح المؤمنون كما ورد في السنة عباد الله اخوانا «تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم»(١). وبهذا الوصف، الجامع بين أفراد الأمة والمميز لهم عن أهل الضلال والغواية، نطق القرآن الكريم مصورا حقيقة المؤمنين في موكب الرسالة: ﴿**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود. ذلك مثلهم في التوراة. ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما**﴾(٢).

ومن كانت هذه أحوالهم كانوا على الحق وعلى صراط مستقيم. ولن يكون الحفاظ على الاسلام وقوته، وعلى سيادة المسلمين وعزتهم، وعلى تقدمهم وريادتهم، أو القدرة على بعثهم وتجديد أمرهم إلا إذا كانا منوطين بالحفاظ على السنة والاقبال عليها والعمل بها والحرص على الائتساء بالرسول الكريم. فمن تبع ذلك فقد رشد ووصل مابينه وبين هذا الدين، ومن صدف عنه فقد غوى وقطع مابينه وبين العلم والايمان. وشواهد هذا قائمة على مدار التاريخ الاسلامي. فالاسلام لا يسود ولا يهيمن ولا يقوى على تخليص المسلمين مما تردوا فيه من الانهيار والانهزام العقلي والمهانة والضعف والفشل الذريع إلا متى تحققت لهم منه مقوماته، وأخذوا بسبيله، وأوثقوا صلتهم بالله وبرسوله، واتخذوا من هذا الدين منهج حياة وطريقا للسعادة والفوز في الدنيا والآخرة. ولذلك فإن أول مايجب الاحتكام إليه والعمل به والالتزام بتطبيقه

(١) دَ: جهاد ١٧٤، ديات: ١١: نَ. قسامة: ٧، ١٣: جهَ. ديات: ٣١حَم: ٦/١١٩، ١٢٢، ٢/١٨٠، ١٩٢، ٢١١، ٢١٥.

(٢) الفتح: ٢٩.

شرع الله الذي وردت به نصوص الكتاب والسنة، وتضمنته آيات الأحكام والأحاديث الصحيحة، فكانت موضع النظر والدرس والتفسير والتحليل والاستنباط والتأويل، كما كانت سبيل الدعوة إلى الحق والتوجيه إلى الرشد من أئمة الاجتهاد وعلماء الأمة.

تلك سبيل المؤمنين. وأما الذين ﴿ **يقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولّى فريق منهم بعد ذلك** ﴾[١] فهم منافقون، لتوليهم وإعراضهم عما التزموا به علنا من الايمان والطاعة، ولصدور مايقابل ذلك منهم ويؤكده من أعمالهم وتصرفاتهم المخالفة للدين. وقد ذيّل تعالى هذه الآية بالتعرية لحقيقتهم، والتنبيه على مروقهم من الايمان والاسلام بقوله: ﴿ **وماأؤلئك بالمؤمنين. وإذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون** ﴾[٢].

وقد تقع ألوان من المخالفات لما أنزل الله في كتابه أو حكم به رسوله، كأن يتساءل المرء، غير قاصد الصدوف أو الاعراض، عن وجه آخر للحكم مثلا مريدا إما الاستفسار، وإما محاولا إبداء الرأي، فيتعرض من الأئمة لأعنف الرد وشديد الانكار. فعن عثمان بن عمر قال جاء رجل إلى مالك فسأله عن مسألة، فقال له قال رسول الله كذا وكذا. فقال الرجل: أرأيت؟ فقال مالك: ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾[٣]. ووقع مثل هذا مع الامام الشافعي. روى البخاري قال سمعت الحميدي يقول: كنا عند الشافعي فأتاه رجل فسأله عن مسألة. فقال: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا. فقال الرجل للشافعي: ماتقول أنت؟ فقال: سبحان الله تراني في كنيسة؟ تراني في بيعة؟ ترى على وسطي زنارا؟ أقول قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا وأنت تقول لي: وما تقول أنت![٤].

وإنما كانت هذه المواقف شديدة وعنيفة قصد حمل الناس على التقوى،

---

(١) النور: ٤٧.
(٢) النور: ٤٧ – ٤٨.
(٣) النور: ٦٣: السيوطي. مفتاح الجنة: ٤٩.
(٤) ابن القيم. الصواعق: ٢/٥٦٣.

وتجنيبهم الاحتكام إلى الطاغوت أو إلى الهوى، فيهلكون ويُهلكون، ولكونهم بما همّوا به أو فكّروا فيه يشاقّون الله ورسوله، ويخالفون مافي الكتاب والسنة من أحكام: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى، ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ماتولّى ونصله جهنم وساءت مصيرا**﴾[١].

ومشاقة الرسول أن يأخذ المتولّى عن المنهج الرباني شقا وجانبا وصفا غير الشق والجانب والصف الذي دعا إلى الالتزام به الرسول. فيكون بسلوكه هذا مناقضا له، ومعارضا لما جاء يحمله من عند الله من منهج كامل للحياة يشتمل على العقيدة وعلى الشعائر التعبدية، كما يشتمل على الشريعة والنظام الواقعي لجوانب الحياة البشرية كلها[٢].

وفي هذه المشاقة إزهاق لروح الايمان، وتقويض لهيكل الدين واختيار للضلالة وإصرار على الانحراف، وعلى العدول عن الحق والهدى.

وقد أشارت دواوين السنة إلى ماتوقع رسول الله صلى الله عليه وسلم حصوله بعد موته، فذكر ذلك البيهقي في دلائل النبوة[٣]. وأخرج الأئمة في كتب الحديث مارواه أبو رافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: «لا ألفينّ أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول لا أدري ماوجدنا في كتاب الله اتبعناه». وقد روى هذا الحديث غير واحد من طرق متعددة: رواه مع أبي رافع المقدام بن معديكرب، والعرباض ابن سارية، وأبوهريرة، ومحمد بن المنكدر بألفاظ متقاربة بعضد بعضها بعضا[٤].

---

(١) النساء: ١١٥.

(٢) سيد قطب: فى ظلال القرآن: ٢/٧٥٩.

(٣) البيهقى: ١/٢٤.

(٤) حديث أبى رافع. شَ. المسند. الاعتصام بالكتاب والسنة: دَ. كتاب السنة. باب لزوم السنة: تَ. كتاب العلم، باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبى صلى الله عليه وسلم؛ جهَ المقدمة، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه: حمَ؛ كَ، الذهبى. المختصر. كتاب العلم؛ ابن وهب: الليث بن سعيد: حديث المقدام: دَ، حَم، تَ، جَه، دَى: حديث ابن المنكدر: شَ، تَ: حديث العرياض: دَ؛ حديث أبى هريرة: حَم.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به وحذّر منه، وصادف التخويفُ والتحذيرُ محله في القرون الأولى بسبب ماكان من غفلة أو جهل. وظهرت طوائف في صدر الاسلام، وبالخصوص في القرن الثاني، قامت على أساس عقدي أو سياسي أو مزيج منهما. وتفرعت عن قضية الامامة، وعدالة الصحابي، ومشكلة الوضع، ونظرية التحسين والتقبيح عدة مذاهب واتجاهات مالت عن الحق والهدى، لهوى أو تعصب أو شبهات لم تقو على دفعها. وقد كان من بينها المعتزلة والزنادقة الذين وُجدوا في أطراف البلاد وخاصة في المدن في زمن الأئمة الأربعة فمن بعدهم.

وتصدى لهم ولغيرهم الأئمة وأصحابُهم في دروسهم ومناظراتهم وتصانيفهم للرد عليهم(١). وقد ترك لنا رجال تلك الفترة مصنفات هامة تقف في وجه الافتراءات والافك، وتبطل مزاعم الغواة الضالين المحاربين لدين الله وسنة رسوله، كما تشحذ العقول بما فيها من علم وتحقيق وبيان وتفصيل مثل كتاب اختلاف الحديث للشافعي، وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة، ومعاني الآثار، ومشكل الآثار للطحاوي، وتآليف أخرى كثيرة مثل دواوين السنة، والمعاجم، والمشيخات، والمسلسلات، والطبقات والموضوعات، وعلوم الحديث والمصطلح، وماتعاقب ظهوره على مر العصور من تصانيف في السنة وفي الدفاع عنها، إلى جانب مجموعة معتبرة من المؤلفات في الفرق والمذاهب الكلامية.

وقد أغنى، بحمد الله، ذلك جميعه عن الوقوف عند أهل هذه النزعة الباطلة من السابقين المتقدمين زمانا، لانكشاف أمرهم وتمام المعرفة من العلماء والمثقفين بهم فحملنا هذا الواقع على الالتفات في هذا المقام إلى الموجة الحديثة لهذا التيار الهدام، والتي بدأ ظهورها في القرن الثالث عشر على أيدي المستشرقين في الشرق والغرب، وعلى أيدي أتباعهم ومقلديهم من المتغربين بالبلاد العربية والاسلامية.

---

(١) السيوطي. مفتاح الجنة: ٦ – ٧.

وإذا كان من الطبيعي أن يجاري الدرسُ والبحثُ هذه القضية في مراحلها المتعددة وأطوارها المتلاحقة، فيبدأ بالنظر في المقدمات للخلوص إلى النتائج، وفي القواعد والأصول للانتهاء إلى التفاصيل والاتجاهات، فإن الحديث عن المستشرقين في هذه المسألة يعتبر المدخل إلى معرفة أسباب الفتنة في العصر الحديث والمنطلق لظهور الآراء والأفكار التي انتشرت بانتشار مدارس المستشرقين وكتبهم، وبفضل هيمنتهم على الحياة الثقافية ومرجعيتهم فيها في ديارهم وخارج ديارهم، على الأقل فيما يعود إلى ماعكفوا عليه وتخصصوا فيه من موضوعات التراث العربي الاسلامي. وقد حصل لهم ذلك من جهة بما لبّسوه على الناس، وتظاهروا به من منهجية، وبما حاولوا الاتصاف به من موضوعية في البحث، واستقلال في النظر، ومن جهة ثانية بخلو المجال لهم من أية منافسة تقطع عليهم الطريق وتعوقهم عن تحقيق أهدافهم، لا سيما مع من يتعامل معهم من العامة أو من الخاصة الذين لم يشدوا من العلم الاسلامي والثقافة الاسلامية شيئا.

فإذا تحولنا من هذا إلى التحقيق في أمر هذه الفئة المضللة، فإنا مع التسليم بجهودها الكبيرة، وبانقطاعها للبحث فيما تشتغل به من قضايا أو تتفرغ له من أعمال، لا نجدها إلا سطحية التكوين، خفيفا وزنها فيما تحذق من علوم أو تتخصص فيه من فنون، لأنها كما قال عنها أحمد فارس الشدياق: «لم تأخذ العلم عن الأشياخ، وإنما تطفلت عليه تطفلا وتوثبت فيه توثبا». والذي ساقها إلى الانحراف عن الحق والدس للاسلام، مع ماوقعت وتقع فيه من أخطاء في التصورات والآراء، الوهمُ والغفلة والجهل الناشيء جميعه عن التوجيهات المدبرة والأحكام المسبقة.

وإنه ليس من الخفي على أحد وخاصة على المهتمين بالاستشراق والمعنيين بتاريخه وآثاره، أن جهود هذا النوع من الباحثين قام في الأكثر من البداية على أكتاف الرهبان والمبشرين وثلة من اليهود، ثم اتصل بعد ذلك بالاستخبارات وبالسياسة الغربية الحاقدة المغرضة، فكان بالطبع ينبعث بصورة عامة في الدول

الاستعمارية من الكنيسة ووزارة الخارجية، ويحمل بذور العصبية الدينية وتيارات الغزو الفكري والثقافي، مستهدفا تقويض المجتمعات الاسلامية، وتجريدها من مقوماتها، واستلاب هويتها. فلا بدع إن رأيناه على توهين قوى الاسلام، وتمزيق شمله، وتضليل سعيه، وبعثرة العوائق أمام أممه، وبذل الجهود الماكرة الذكية لجعل المنتمين إلى الدين الاسلامى ينحرفون عنه ويضيقون به[١].

وهكذا كما قرره الحذاق من علمائنا بالسنة في العصر الحاضر نجد هذه الطائفة من أمثال جولدزيهر صاحب العقيدة والشريعة في الاسلام، وكتاب دراسات إسلامية، ومن تبعه من أصحاب البحوث المدخولة المدسوسة والموجهة ضد الاسلام والمسلمين كمرغليوث وشاخت وربسون وأندرسون وشبرنجر وموير وويل ودوزي يسير جميعهم على خطة واحدة تقوم، بسبب الغرور والتحامل، على سوء الظن والفهم لكل مايتصل بالاسلام في أهدافه ومقاصده، وعلى الاحتقار والاستخفاف بعظماء المسلمين وعلمائهم، وعلى تشويه الحضارة الاسلامية تهوينا لشأنها وصرفا عن معالمها وآثارها، وعلى تصوير المجتمع الاسلامى في مختلف عصوره وخاصة في العصر الأول بالمجتمع المتهافت المتفكك. وقد كان هذا التحامل المكشوف مبنيا على الجهل بحقيقة المجتمعات الاسلامية، والحكم عليها من خلال تصوراتهم المحدودة الضيقة المتأثرة بما نشأوا عليه من أخلاق وعادات. وقد زاد عملهم سوءا واضطرابا المنهج الذي درجوا عليه والتزموا به، من إخضاعهم النصوص لأفكارهم المسبقة وأهوائهم المتحكمة، يختارون منها مايقبلون، ويرفضون مايجدونه مناقضا لما يريدون، ثم تحريفهم لما يعتمدون منها بسبب سوء الفهم وفساد التأويل، أو تحريفهم لها تحريفا مقصودا يخدم أغراضهم ويقوي مزاعمهم. وإن من أغرب ما لا يتفق مع المنهج العلمي المعروف تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها. فهم ينقلون مثلا من كتب الأدب مايحكمون به في

---

(١) محمد الغزالى. دفاع عن العقيدة والشريعة: ٣٤٢.

تاريخ الحديث، ومن كتب التاريخ مايحكمون به في تاريخ الفقه، ويصحّحون ماينقله الدميري في كتاب الحيوان، ويكذبون مايرويه مالك في الموطأ. كل ذلك انسياقا مع الهوى، وانحرافا عن الحق(١).

وعن هؤلاء المستشرقين انتشرت حول الحديث دعاوى وشبهات كلها أو أكثرها يتصل بقضية الوضع والوضاعين. ونحن نعلم أن علماء الحديث كانوا أشد عناية بهذه المسألة، وأكثر بحثا فيها، وتمحيصا للأخبار من أجلها، وتأليفا في الموضوعات والوضاعين، بما لم يدعوا معه مجالا لقائل، فبحثوا أسباب الوضع التي كانت في الغالب سياسية أو عقدية دينية، وذكروا ماوجدوا منها له علاقة بعصبية الجنس والقبيلة، واللغة والبلد والامام، أو كان مما افتتن به القصاصون والاخباريون، أو استزاد منه الوعاظ والدعاة قصد الترغيب أو الترهيب، أو كان له ارتباط واتصال بالخلافات الكلامية والمذهبية، أو كان الباعث عليه التقرب من الحكام والتزلف إليهم ابتغاء تحقيق أغراض دنيوية، أو سببه الاغراب في الرواية أو نحو ذلك. قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: «خالط الحديث كذب كثير صدر عن قوم قصدوا به الاضلال وتخبيط القلوب والعقائد، وقصد بعضهم التنويه بذكر قوم كان لهم في التنويه بذكرهم غرض دنيوي. ولم يسكت المحدثون الراسخون في علم الحديث عن هذا بل ذكروا كثيرا من الأحاديث الموضوعة وبينوا وضعها، وأن رواتها غير موثوق بهم»(٢). كما وضعوا لعلم الحديث قواعد وأصولا وصنفوا التصانيف وكتب الرجال، وتكلموا عن التجريح والتعديل، ونوهوا بالاسناد وجعلوه من الدين. قال الشاطبي: «ولا يَعنوُن بالاسناد «حدثني فلان عن فلان» مجردا، بل يريدون ذلك لما تضمّنه من معرفة الرجال الذين يحدث عنهم، حتى لا يسند عن مجهول ولا مجروح ولامتّهم، إلا عمن تحصل الثقة بروايته، لأن روح المسألة أن يغلب على الظن من غير ريبة أن ذلك الحديث قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم لنعتمد عليه في الشريعة ونسند إليه الأحكام»(٣). ولا خشية

(١) السباعي. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ١٨٨.
(٢) ابن أبي الحديد: ٢/١٣٤.
(٣) الشاطبي. الاعتصام: ١/٢٢٥.

على الحديث بإذن الله من وضع الوضاعين لما قدمنا، ولما يشهد له قوله الخليفة العباسي الرشيد، وقد أراد الفتك بأحد الزنادقة الذي قال له: «يأمير المؤمنين أين أنت من أربعة آلاف حديث وضعتها فيكم! أحرم فيها الحلال وأحلل فيها الحرام، ماقال النبي صلى الله عليه وسلم منها حرفا! فقال له الرشيد: أين أنت ياعدو الله من أبي اسحاق الفزاري وعبدالله بن المبارك! ينخلانها نخلا، فيخرجانها حرفا حرفا»(١). وإنما قام علماء السنة بهذا الدور الجليل ابتغاء تنقية الحديث، ودفع الزيف عنه، والاطمئنان الى ماهو مثبت في الدواوين من الأحاديث الصحيحة للوثوق والاحتجاج به في الدين والعمل بموجبه.

أما المستشرقون فقد كان غرضهم الأول التشكيك في الأخبار، والابطال للسنة، وحمل الناس وبخاصة من خالطهم ومن ليس له حظ من العلم الديني على القول بأنها كلها موضوعة حتى المتواتر منها، أو على اعتقاد أن أحاديث كثيرة نبوية زائفة لا تقبل، أو أن أسانيد الحديث النبوي عملية ملفقة، أوأن نصف الأحاديث النبوية في صحيح البخاري ليست أصيلة وغير موثوق بها. وهي لعمري دعاوي واتهامات خطيرة بعضها أشد من بعض، يؤكد بعضها بعضا. وهي كلها في الواقع متفقة على القدح في الأخبار والصرف عن العمل بها. فإذا تم لهم مايريدون انهدّ المصدر الثاني من مصادر الشريعة الاسلامية الذي يقوم على سيرة الرسول وهديه وبيانه، والذي بينا أهميته، وألمعنا إلى عظيم منزلته، وشديد اهتمام السلف وعلماء الملة به، الذين أطلقوا عليه اسم العلم، وقصروه عليه عهدا، وبذلوا مابذلوا من جهود في خدمته وضبطه.

ومن أجل تأصيل مادعا إليه وروجه المستشرقون من المفتريات، وتسويغ أفكارهم أدنى تسويغ ذهب جولدزيهر ومن لف لفه إلى إشاعة بعض الآراء في أوساطهم، وبين طلبتهم ليتلقفها عنهم المهتمون بالدراسات الاسلامية في المشارق والمغارب، فكان من هذا القبيل قولهم: «إن القسم الأكبر من

(١) الذهبي. التذكرة: ١/٢٧٣: ابن حجر. التهذيب: ١/٢٥٢: السيوطي. تاريخ الخلفاء: ١٩٤: على القاري الموضوعات الكبرى: ١٤.

الحديث ليس صحيحا مايقال من أنه وثيقة للاسلام في عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود المسلمين في عصر النهضة»(١).

وهذه الجملة المتكونة من شقين، وإن قامت على إنكار صحة الأحاديث واعتبارها موضوعة في جملتها تدس عن طريق ذلك أولا عدم تمثيل ماكان يجري في العصر الأول الاسلامي من التحمل للحديث وروايته عن الرسول أو الصحابة، وعدم صحة مانعرفه من طرق الرواية للسنة من أسباب صدورها عن النبي أو ملابساتها. فلا الأقوال ولا الأفعال ولا التقريرات على هذا الأساس بمسلمة أو مقبولة. ولا الجانب التاريخي الذي تسجله وتشهد له تلك الأخبار بواقع.

وثانيا ادعاء أن المتأخرين عن العصر الأول في مرحلة النضج هم الذين وضعوا الأحاديث واخترعوها تلفيقا وابتداعا ليقيموا بذلك دينا ويكتبوا للعرب والمسلمين تاريخا.

ومثل هذا القول باطل ومردود، ينكره العقل والمنطق لما يقتضيه الأمر من صلة قائمة بين صاحب الرسالة ومن حوله ممن أرسلهم إليهم، ومن بيان وتوجيه ودعوة اضطلع بها فيهم، وبلغها لمن وراءهم عن طريقهم.

ولا نظر لما قد يكون حصل من تزيد في الأخبار مما وصفه القصاصون وأصحاب النحل والأهواء لانكشاف أمرهم وتبيّن النقاد موضوعاتهم، وتحريهم في النقل، وتنبيههم على كل ماتشوبه أدنى شائبة من الوضع في مروياتهم.

وقالوا: «إن تعاليم القرآن تجد تكملتها واستمرارها في مجموعة من الأحاديث المتواترة، وهي وإن لم ترو عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة تعتبر أساسية لتميز روح الاسلام»(٢).

وفي هذا القول، وإن صحّ مايشير إليه من اتحاد النسق بين القرآن والسنة

---

(١) على حسن عبد القادر. نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى: ١٢٧.

(٢) محمد الغزالى. دفاع عن العقيدة والشريعة: ٧٤.

باعتبارهما وحيا منزلا متلوا، وغير متلو، إبعاد في إنكار السنة وعدم الوثوق حتى بالمتواتر منها.

وزادوا تأكيدا لهذا المعنى حين خلصوا إلى القول «بأن الاسلام نما على يد رجاله، وسبيل نمائه الاضافات التي جعلت كيان هذا الدين يكبر إلى حد لم يعرفه محمد نفسه. فإن ألوف الأحاديث التي ثبت أن الرسول نطق بها هى من صنع العلماء الذين أرادوا أن يجعلوا من الاسلام دينا كبيرا شاملا، فخلقوا هذه الأحاديث[١].

فإذا ولى المتحاملون على السنة النبوية وحوهَم قبَل الحياة الاجتماعية والظروف السياسية قالوا: «سار الحديث في القرن الأول سيرة المعارضة الساكنة، بشكل مؤلم ضد أولئك المخالفين، يعنون الأمويين، للسنن الفقهية والقانونية»[٢]، فأساءوا «للعلماء الأتقياء» الذين كانوا يجمعون الحديث والسنة حين اتهموهم بالكذب على الرسول، وهم يعلمون وعيد النبي على ذلك في قوله: «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»[٣]، وحين نسبوا إليهم «اختراع أحاديث كثيرة كانوا في أشد الحاجة إليها لمحاربة خصومهم ومقاومة الطغيان والالحاد والبعد عن سنن الدين»[٤]. ووقعوا في الخطأ مرة أخرى حين اتهموا الحكومة الأموية «بأنها لم تقف ساكنة إزاء ذلك، فإذا أرادت أن تهمم رأيا أو تسكت هؤلاء الأتقياء» تذرعت أيضا بالحديث الموافق لوجهات نظرها. فكانت تعمل مايعمله خصومها، فتضع الحديث أو تدعو إلى وضعه، وإذا ما أردنا أن نتعرف على ذلك كله، فإنه لا توجد مسألة خلافية، سياسية أو اعتقادية، إلا ولها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الاسناد القوي»[٥].وهذا الوصف وإن قامت عليه شواهد مما ذكره الأئمة

---

(١) محمد الغزالى: دفاع عن العقيدزة والشريعة: ٧.

(٢) على حسين عبد القادر: نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى: ١٢٧.

(٣) خ. كتاب العلم. باب إثم من كذب على النبى صلى الله عليه وسلم. والحديث مشهور أخرجته أكثر المصادر.

(٤) على حسن عبد القادر. نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى: ١٢٧.

(٥) المصدر نفسه: ١٢٧.

النقاد مما تبارى فيه الوضاعون من أهل هذا العصر، لكننا لا نجد في الثابت من مدونات السنة مع كثرتها سندا فيه عبدالملك أو يزيد أو الوليد أو أحد عمالهم كالحجاج وخالد القسري وأمثالهم، ولا دليلا واحدا على طلب الحكومة من يصنع لها الأحاديث(١).

ولفقوا التُّهم لتمرير هذه المقولة، ونسبوا للأمويين استغلالهم للزهري في هذا الأمر الجلل. وطعنوا في الامام طعونا، وحرّفوا قوله: «إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث» بقولهم «على كتابة أحاديث». وكل المؤرخين يعرفون منزلة هذا الامام ومقامه العظيم في علم السنة. فهو الذي حفظ عنه: «ماعُبد الله بشيء أفضل من العلم. وإن هذا العلم أدب الله الذي أدب به نبيه عليه الصلاة والسلام، وهو أمانة الله إلى رسوله ليؤديه على ماأُدي إليه. فمن سمع علما فليجعله أمامه حجة فيما بينه وبين الله عز وجل». كما روى عنه قوله: إن للتعليم غوائل. فمن غوائله أن يتركه العالم حتى يذهب علمه، ومن غوائله النسيان، ومن غوائله الكذب فيه وهو أشد غوائله».

ومن إفتراءاتهم نسبة الكذب للصالحين، والتدليس للمحدثين، مُجرين ماتلقفوه من الأوصاف على غير مدلولاتها عند أهل هذه الصناعة من طلبة الحديث ورواته.

فإذا أرادوا الطعن في الفقه الاسلامي وأحكامه نسبوا إلى المجتهدين والفقهاء «اختراع جملة من الأحاديث ليتأيدوا بها، وزعموا أن هذه الأحاديث وغيرها من النصوص المماثلة لها، والتي يسهل علينا جمعها، لا تمثل وجهات نظر خاصة بطبقة سامية الأخلاق فحسب، بل إنها لتعبر عن العاطفة العامة لفقهاء الاسلام»(٢).

ولابطال دعاوى المستشرقين هذه وغيرها التي لا تحمل إلا مكرا، ولا تفيض إلا غيظا وحقدا، ننوه بجهود عدد كبير من الباحثين، ونحيل على جمهرة

(١) السباعي. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ٢٠٥.
(٢) محمد الغزالي. دفاع عن العقيدة والشريعة: ٧٦.

من المحققين والمؤرخين أمثال السباعي والغزالي والمودودي والندوي، وعلى أصحاب الدراسات العلمية الجامعية من المختصين في دراسات السنة والسيرة. وذلك اختصارا للقول لضيق المقام عن الاستقراء والتفصيل في هذه المناسبة الكريمة.

وأما الفريق الثاني الذي ظهر في هذا العصر فهو فريق ضال مضل، نشأ على أيدي المستشرقين، وتأثر بهم، فسار على منوالهم. وهو أشبه بمن عرفناهم في القرن الثاني بالزنادقة المتأثرين بالفلسفات القديمة، والمبارزين للاسلام المحاربين له والعاملين على تقويض أصوله وهدم أركانه.

ولقد تعاون الاستعمار الغربي وعلماء الاشتشراق على التخطيط لغزو العالم الاسلامي فكريا، وترسيخ مفاهيم الغرب فيه، وتصورات الحضارة المادية بين أفراده ومجتمعاته. فكان التفسخ والتمزق والانحلال في المجتمع والفكر والسلوك في حياتنا، وعلى امتداد العالم الاسلامي تغذّى ذلك كله وتقوم به مؤسساتٌ ودوائرٌ ظاهرة ومستخفية، جعلت من الدروس العلمية ذريعة لغايات سياسية ودينية. وهذا الغرض العام من السياسة الاستعمارية في البلاد الاسلامية هو الذي يعلن شاتلي عنه في مجلة العالم الاسلامي في بداية هذا القرن العشرين. ويصرح: «بأنه لا يمكن الوصول إليه إلا بالتعليم الذي يكون تحت الجامعات الفرنسية، نظرا لما اختص به هذا التعليم من الوسائل العقلية والعلمية المبنية على قوة الارادة». ويمضي فيقول: «وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم إلى حيز الفعل ليبث في دين الاسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنسية... ولا ينبغي أن نتوقع من جمهور العالم الاسلامي ان يتخذ له أوضاعا وخصائص أخرى إذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية، إذ الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الاسلامية، ومايتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له سوف يفضي بعد انتشاره في كل الجهات إلى انحلال الروح الدينية من أساسها لا إلى نشأتها بشكل آخر»[١].

(١) الغارة على الإسلام: ٩ – ١٨.

وجاء هؤلاء المتغربون بعد التخرج على تلك المناهج سواء في ديارهم أو في الدول الاستعمارية، مع قلة معرفتهم بدينهم، وإساءتهم الفهم والتصور لأصوله ومبادئه، وقيمه وأخلاقه، فتفلسفوا ونظروا، وأخضعوا كل شيء لما تلقوه أو شدوا جزءا منه في تلك الجامعات، أو مارسوه في الحياة العملية في تلك المجتمعات، وتحقق على أيديهم أكثر مما تحقق على أيدي أساتذتهم ومعلميهم الأجانب.

وفَتَنت المدنية الغربية وبخاصة الأميركية قلوب هذه الفئة، فأصبحت تقارن بها كل ماتراه خيرا من أوضاع العالم الاسلامي وأحواله في القديم والحديث، كما تعتبرها معيار التقدم فلا تتردد أن تقول في جرأة على لسان أحمد زكي أبو شادي: «ولذلك قلنا مرارا إن مبادىء الاسلامي نظريا وعمليا هي أقرب ماتكون لمبادي الحضارة الأميركية والحياة الأميركية تفكيرا وسلوكا. فهل يتنبه المسلمون إلى هذه الحقيقة الراسخة فيفلحوا!»(١). وتقول أخرى على لسانه أيضا وهو يتحدث عن الحرية والدفاع عنها: «ومماالدفاع الذي تقوم به أميركا على العالم الحر إلا صنوُ الدفاع الذي رفع لواءه محمد في قتاله الجبابرة المتقدمين»(٢).

وبعد تصوير هذا التقارب أو التجانس قارنوا مقارنة ثانية بين حاضر الغرب وحاضر العالم الاسلامي. وبارتفاع شعورهم بالانهزام الفكري والعقلي أخذوا في تحقير علومهم وآدابهم، وفي التنكر للصفوة من علماء الاسلام ومفكريه. ثم بشكل إيحائي دعوا إلى الاعتبار بهذه الأوضاع وإلى وجوب التغيير قائلين: «ومع علم أولئك المستشرقين كعلم المستنيرين من المسلمين بأن الجمهرة من الأحاديث النبوية مختلقة اختلاق الاسناد نفسه الذي لم يكن معروفا في فجر الاسلام فان حظهم هو التعلق بكل سخيف حقير منها»(٣).

ثم يمضي في حقد وتهجم كأنه مدفوع أو موكّل بنقض مصادر الثقافة

---

(١) ثورة الإسلام: ٥٧.
(٢) ثورة الإسلام: ٦١.
(٣) ثورة الإسلام: ١٧.

الاسلامية، وماتركه المفسرون والمحدثون من آثار تشهد بأعمالهم وجهودهم واجتهاداتهم فيقول: «وأما التغني بأبي داود والترمذي والنسائي الخ.. وترديد الأحاديث الملفقة التي لا تنسجم وتعاليم القرآن، وأما سوء تفسير آيات الكتاب العزيز، وأما الجهل بروح القرآن التي تشع من وراء هذه الآيات، وأما التنازل عن صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان فبمثابة الخيانة لرسالة الاسلام الخالدة»(١).

وربما أوضح المراد من هذه الجملة ماأورده الندوي في وصف هذا الفريق، وماذكره من عوامل فكرية صاغت تصوراته وأغراضه حين قال: «إنها ترتكز على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها على علاتها، وتفسير الاسلام والقرآن تفسيرا يطابق ماوصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر، يطابق هوى الغربيين وآراءهم وأذواقهم، والاستهانة بما لا يثبته الحس والتجربة، ولا تقرره علوم الطبيعة في مبادىء النظر من الحقائق الغيبية وأمور مابعد الطبيعة»(٢).

وما من شك في أن هذا الاتجاه كان ومايزال يعتمد في مجال التغيير والتحديث على دعوة المسلمين إلى تقليد الغربيين في أمور الدنيا والدين. فذلك سبيل التقدم والرقي والحضارة، وهو سبيل اللحاق بركب الدول المتحضرة. فلا بدع إذا أصبح من أصول هذا الاتجاه في التفكير والعمل، في العقيدة والسلوك، إنكار ماتنكره الثقافة الغربية ولو كان دينا، وقبول ماتدعو إليه وتقرّه تلك الثقافة ولو كان مخالفا للدين ولما عليه جمهور المسلمين.

ولتأكيد هذا المعنى يعود أحمد زكي إلى تفسير هذه الظاهرة فيصدر فتواه في القضيلا قائلا: «ومن البداية أقر الاسلام بأن شرحه في أيدي أهل العلم المتخصصين، لا في أيدي رجال من الكهنوت، إذ لا كهنوت في الاسلام، وبذلك كان دينا تقدميا إلى أبعد الحدود وإلى ماشاء الله»(٣).

---

(١) ثورة الإسلام: ٢٥.
(٢) الندوى. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية: ٧١.
(٣) ثورة الإسلام: ٦٣.

ولاقناع الناس بهذا المنهج التبعي الانهزامي قام المتغربون في الأول بهجومهم على الاسلام ومصادره بالخصوص، وعلى السنة الشريفة النبوية بطريقة ماكرة: «متقنعين بستار العلم والبحث، متجنبين المصارحة، مفضلين عليها المواربة والمخاتلة»(١). ولما افتضح أمرهم وكثرت الردود عليهم، وصودرت كتبهم ورسائلهم، نصحهم أحد كبرائهم بقوله: «إن الأزهر لا يقبل الآراء العلمية الحرة، فخير طريقة لبث ماتراه مناسبا من أقوال المستشرقين ألا تنسبها إليهم بصراحة، ولكن ادفعها إلى الأزهريين على انها بحث منك، وألبسها ثوبا رقيقا لا يزعجهم مسها»(٢).

وبهذه النصيحة أخذ المضللون هنا وهناك يدعون إلى موالاة الأعداء على حساب ثقافتهم الاسلامية، والروح الديني المميز لجماعتهم. وكأنهم لا يذكرون مانبههم إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿**والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**﴾(٣).

قال الأستاذ الامام محمد الطاهر ابن عاشور: «إن لا تفعلوا قطعَ الولاية معهم، أي المشركين، تكن فتنة... . والفتنة اختلال أحوال الناس التي تحصل من مخالطة المسلمين مع المشركين... وقد كان الاسلام مثيرا لحنق المشركين عليه. فإذا لم ينقطع المسلمون عن موالاة المشركين يخشى على ضعفاء النفوس من المسلمين أن تجلبهم تلك الأواصر، وتفتنهم قوة المشركين وعزتهم، ويقذف بها الشيطان في نفوسهم، فيحنوا إلى المشركين ويعودوا إلى الكفر»(٤).

وقال سيد قطب: «ومن ثم لا يملك الاسلام أن يواجههم إلا في صورة مجتمع آخر له ذات الخصائص، ولكن بدرجة أعمق وأمتن وأقوى. فإذا لم يواجههم بمجتمع ولاؤه بعضه لبعض، فستقع الفتنة لأفراده من المجتمع الجاهلي–

(١) السباعي. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ٢٣٦.
(٢) السباعي. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ٢٣٨.
(٣) الأنفال: ٧٣.
(٤) ابن عاشور. التحرير والتنوير: ١٠/٨٨.

لأنهم لا يملكون مواجهة المجتمع الجاهلي المتكافل أفرادا- وتقع الفتنة في الأرض عامة بغلبة الجاهلية على الاسلام بعد وجوده، ويقع الفساد في الأرض بطغيان الجاهلية على الاسلام، وطغيان ألوهية العباد على ألوهية الله، ووقوع الناس عبيداً للعباد مرّة أخرى، وهو أفسد الفساد»(١).

وقد ظهرت بالمشرقين الأدنى والأقصى من بداية هذا القرن الميلادي ثلة من هذا الرهط الأفاك ذي البضاعة المزجاة من الثقافة الاسلامية، المتعالم فيها، الموالي بروحه وعقله ووجدانه لقادة الفكر الاستعماري والاستشراقي. فسارت على غرارهم تشكك في مصادر الاسلام، وتطعن في الدين، وتنقض أصوله وقوانينه، مستجيشة بذلك قلوب المؤمنين الذين وثبوا مسارعين من جديد إلى رعاية الاسلام ومصادره، فكره وفقهه، أدبه وتاريخه، يدعون إلى ربهم، ويثبتون أفئدة أهل ملتهم كاشفين مايضمره أعداؤهم من الممالاة والمناوءة، حتى افتضح أمر المتغربين، وخسئوا بما فعلوا ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم. ويأبى الله ألا يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾(٢).

وطلائع هذه الفتنة في البلاد العربية من المتغربين كثر، قامت دعوتهم على إنكار السنة والتهوين من شأنها، إبطالا لحجيتها ودفعا لوجوب العمل لها، والتنويه بأن الاسلام يمثله القرآن وحده لأنه الوحي والذكر، ولأنه متواتر، ولأن الله التزم بحفظه، وعني الرسول من أول الأمر بتدوينه. ﴿**وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾(٣). وهذه الدعوة والمقارنة بين الكتاب والسنة جهل وإفك وتضليل وتعطيل. وهي وإن راجت على طائفة من الناس زمنا قصيرا، غير أن ماقامت عليه من دلائل وشبه لم ينهض أمام النظر، ولم يلبث أن تبدد وانحسر عند التأمل والفحص.

قالوا إن في القرآن لوفاء وغنية وتبيانا لكل شيء. أكدت ذلك آياته وأجمع المسلمون كلهم على اعتقاده. قال تعالى: ﴿**مافرطنا في الكتاب من**

---

(١) سيد قطب. في ظلال القرآن: ٣/١٥٥٩.
(٢) التوبة: ٣٢.
(٣) فصلت: ٤٢.

شيء﴾[١]، وقال جلت حكمته: ﴿**ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء**﴾[٢]. فهل يحتاج بعد هذا إلى مزيد تفصيل أو إلى اضافات تكمل الوحي المنزل؟ بلى ألم يعلم هؤلاء أن القرآن اشتمل على أصول الدين كلها، وعلى قواعد الأحكام العامة، فنص على بعض هذه الأحكام بصراحة، وترك بيان البعض الآخر للرسول المبلغ عن الله، والواجب اتباعه وطاعته بأمر من الله.

قال الشافعي: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها. قال الله تبارك وتعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد**﴾[٣]... فكل من قبل عن الله فرائضه في كتابه، قبل عن رسول الله سننه بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل لما افترض الله من طاعته»[٤].

وقالوا ان الله أحاط كتابه بأسباب العناية والحفظ. فقال جل ذكره: ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾[٥]. فهل وجدت السنة مثل ذلك أو حظيت بشيء مما اختص به الكتاب؟ أجل إن السنة علم تلقاها المؤمنون عن الرسول صلى الله عليه وسلم وتعلموها منه، وتم على مر السنين جمعها وتدوينها، كما قيض الله لها من يحرسها من الزيادة والوضع، والغلو وفساد التأويل. فأوكل بها أئمة حفظوها ورووها وبلغوها عن نبيهم لما فيها من هداية وحكم. وقد أمر الله عباده للخروج من الحيرة واللبس، بطلبها ممن اختص بمعرفتها فقال سبحانه: ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[٦]. وهل الذكر إلا كل وحي نزل من عند الله. فهو واقع على الكتاب والسنة جميعا. وهي وحى غير متلو، تولّى نبينا صلى الله عليه وسلم بيان القرآن للناس بها.

---

(١) الأنعام: ٣٨.
(٢) النحل: ٨٩.
(٣) إبراهيم: ١.
(٤) الرسالة: ٢٠/٤٨، ٣٣/١٠٢.
(٥) الحجر: ٩.
(٦) النحل: ٤٣.

«وفي القرآن مجمل كثير كالصلاة والزكاة والحج وغير ذلك مما لا نعلم ماألزمنا الله تعالى فيه بلفظه، لكن ببيان النبي صلى الله عليه وسلم. فإذا كان بيانه عليه السلام لذلك المجمل غير محفوظ، ولا مضمون سلامته مما ليس منه، فقد بطل الانتفاع بنص القرآن، فبطلت أكثر الشرائع المفترضة علينا منه، فإذن لم ندر صحيح مراد الله تعالى منها»(١).

وحاولوا إثبات موقفهم من السنة، وتأكيد آرائهم الموروثة فيها عن السابقين وبخاصة المستشرقين بالاستناد إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر بكتابة الحديث بل نهى عن ذلك، وأن الصحابة والتابعين لم يولوه العناية اللازمة من أجل جمعه وتدوينه، فصار بسبب ذلك ما وصل إلينا منه بعد التدوين ظني الثبوت لا يصح الاحتجاج به. ويؤيد هذا الموقف ويدعو إلى الالتزام به قوله جل وعلا في الرد على المشركين: ﴿**إن تتبعون إلا الظن**﴾(٢).

وتوجيهُه أمره سبحانه لنا بقوله: ﴿**ولا تقف ماليس لك به علم**﴾(٣). وهذا الكلام ظاهر البطلان لأن النهي عن كتابة الحديث في زمن الرسول كان من أجل عدم اختلاط الكتاب بالسنة، والأصل المنزل به القرآن بما يتصل به من بيان أو تفسير من الرسول صلى الله عليه وسلم. وهو قاعدة عامة اقتضاها ظرف خاص وحالة معينة. وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أذن لبعض الصحابة بكتابة الحديث، والشواهد على هذا مثبتة في كتب العلم. أما الصحابة والتابعون فكانوا يتلقون ويتحملون مباشرة عن النبي، أو عن الصحابة، وكانوا يعتمدون الحفظ في ذلك الزمان أكثر من الكتابة والخط، وكانوا يتعاونون على الرواية والحفظ فلم يحتاجوا إلى الجمع ولا إلى التدوين. فلما خشي المؤمنون على ذهاب السنة بذهاب حفاظها أقبلوا على طلبها، وبذلوا في ذلك كل الجهد مع الضبط والتحرّي. ويكفي ذلك للتأكد من صحة المرويات من الحديث، إذ لا يلزم لثبوت الأخبار والجزم بصدورها عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن تكون

---

(١) ابن حزم. الإحكام: ٦/ ١٢١.
(٢) الأنعام: ١٤٨.
(٣) الاسراء: ٣٦.

مكتوبة مدونة، بل يكفي في ذلك أن تكون متواترة أو منقولة عن العدول الثقات الأثبات. وفي الحفظ والضبط في ذلك الوقت غنى عن الكتابة. ولا يقال إنها ظنية لا تفيد علما ولا يجب العمل بها لأن الظن، وبخاصة في الدين، لا يغني عن الحق شيئا، لأن هذا الشرط وإن كان معتمداً في أصول الدين لكُفر من جحدها أو شك فيها كالوحدانية والرسالة وأركان الاسلام وماعلم من الدين بالضرورة، فإنه غير لازم في الفروع والأحكام كما هو مقرر عند الاصوليين.

وربما سعوا بعد ذلك إلى تأكيد مزاعمهم بأحاديث فركنوا إلى السنة نفسها يبحثون عن أدلة منها تقتضي عدم اعتماد الحديث إذا كان مخالفا للقرآن فتوجب عرضها على القرآن. وذلك مثل ماروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: «إن الحديث سيفشو عني فما أتاكم يوافق القرآن فهو عني، وماأتاكم عني يخالف القرآن فليس مني»(١). وأحاديث أخرى تشبهه. وقد تبين بالرجوع إليها كلها أن أسانيدها منقطعة وأن فيها رجالا مجهولين ومتهمين، وأن طالب العلم لا يتردد عن الجزم بتهافتها وضعفها. وهي معارضة لما ثبت من السنة مما تقدمت الاشارة إليه من أحاديث إبي رافع والعرياض والمقدام بن معديكرب ومحمد بن المنكدر.

تلك هي الشبهات التي وجهها قالة هذه الفئة إلى السنة. وقد فصلها تفصيلا الطبيب المصري توفيق صدقي في مقالتين نشرتا له بعنوان «الاسلام هو القرآن وحده»(٢). وذكر لنا بعض من ترجم له، أنه آب إلى رشده ورجع عن آرائه في آخر عمره(٣).

وقد انضم إليه أحد الأدباء اللامعين خريج القضاء الشرعي وعميد كلية الآداب بالجامعة المصرية سابقا الدكتور أحمد أمين. ففتح الباب على مصراعيه لنشر آراء جولدزيهر. وبتزويقها أدنى تزويق مع البعد عن المنهجية العلمية،

---

(١) قال البيهقي: رواه خالد بن أبي كريمة عن أبي جعفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، و خالد مجهول. وأبو جعفر ليس بصحابي. فالحديث منقطع: السيوطي. مفتاح الجنة: ١٥.

(٢) مجلة المنار س ٩. عدد ٩ / ٢١.

(٣) محمد طاهر حكيم. السنة في مواجهة الأباطيل: ٥٧.

روج بين العامة في حديثه عن السنة[١] آراء وأفكارا لم يكن أحد يتصور صدورها عن مثله من رجال الأدب العربي والفكر الاسلامي. وهو في اعتقادي لم يتناول جوانب لم يتعرض إليها أسلافه بقدر ماتفلسف فيما وقف عليه منها، أو حاول شرحه وتفصيل القول فيه، بطريقة تجعله في تصور أهل عصره من الباحثين المجددين.

كانت أهم القضايا التي تعرض إليها في فصل الحديث ستة: تدوين الحديث، عدالة الصحابي، الوضع، البخاري وصحيحه، ابن المبارك، النقد. وهذه الموضوعات بعضها آخذ برقاب بعض لشدة الاتصال بينها. وهو في كل واحدة منها، وإن كان أمرها غير خفي، يحاول أن يجعل منها متكأ بل منطلقا إلى التشكيك أو ترويج شبهة.

فالتدوين بالقطع لم يكن في عهد الرسول، بمعنى أن الحديث لم يكتب ولم يوضع له كتاب خاص به في ذلك الوقت. وكان الاعتماد فيه على الذاكرة أي على الحفظ. فلم يكن من الصحابة إلا قليل يكتب لنفسه. ورواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته كانت: تكثر وتقل بحساب أمزجة الناس ومااشتهروا به من كراهة التحديث أو رغبتهم في الاكثار منه. وبدل أن يقف أحمد أمين عند هذه المسألة فيبين مدى اعتماد الناس على الذاكرة، وعادة العرب في ذلك، وطرق التحمل للعلم، والاحتياط في الرواية والضبط والحفظ للحديث، يسرع إلى القول بما يؤكد أن الكتابة قيد، وأن الذاكرة خؤون، وأن الصحابة لا يسلمون بصحة حديث حتى يجدوا من الرواة من يشهد له. وقع ذلك كثيرا في عهد الشيخين أبي بكر وعمر. وإذا قامت الرواية في هذا العهد حسب ظنه على الريبة وقلة الاطمئنان، فالأمر يرجع بدون شك في التقدير إلى المحدث الصحابي الذي تتلقى منه الأخبار ويتحمل عنه الحديث، وإلى ماانتشر وينتشر في ذلك الزمن من أحاديث وأخبار لا تعد ولا تحصى كثرةً في مختلف الموضوعات والأغراض ومايحتاج الناس إلى معرفته من أمور دينهم

(١) فجر الإسلام: ٢٢٥ – ٢٧٤.

ودنياهم.

ومن هذه الجزئية ننتقل إلى أول الأمرين لنرى موقف الكاتب من الصحابة ومدى جواز الاعتماد على مايروونه ويحدثون به من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. يقول: «وأكثر هؤلاء النقاد، يعني نقاد الحديث، عدلوا الصحابة كلهم إجمالا وتفصيلا، فلم يتعرضوا لأحد منهم بسوء، ولم ينسبوا لأحد منهم كذبا، وقليل منهم أجرى على الصحابة ماأجرى على غيرهم[١]. وفي هذه الجملة وماتضمنته من حكم مغالطة لأن نقاد الحديث جميعهم لا أكثرهم مطبقون على عدالة الصحابي. قال الذهبي: «فأما الصحابة رضي الله عنهم فبساطهم مطوي وإن جرى ماجرى... إذ على عدالتهم وقبول مانقلوه العمل، وبه ندين الله تعالى»[٢]. وقال ابن كثير: «والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة»[٣].

فالقليل الذي أجرى عليهم ماأجرى على غيرهم لم يكن يعد من النقاد ولا من العلماء الصادقين الذين نهضوا بتنقية الحديث مما خالطه وتمييز جيده من رديئة كما زعم أحمد أمين، ولكنه من الفرق السياسية المعروفة بمواقفها من الصحابة وتقسيمها لهم.

وبعد هذا التمهيد ينتقل صاحب فجر الاسلام من الحكم العام الذي دس له وأراد إثباته إلى صورة تطبيقية تلقّفها عن استاذه جولدزيهر فجعل منها مثالا للطعن والمؤاخذة، يستدل بها أولا على ماأراده من كون الصحابة مثل غيرهم من الناس،وأن بينهم تفاوتا، وأن بعضهم ينتقد بعضا. فيورد دسائسه حول أبي هريرة رضي الله عنه للتهوين من شأنه، وحمل الناس بعد ذلك على الصدوف عن الرواية والشك في الحديث بصفة عامة.

وجملة ماذكره من ذلك: أن بعض الصحابة كابن عباس وعائشة ردوا عليه بعض حديثه وكذبوه.

---

(١) فجر الإسلام: ٢٦٥.

(٢) رسالة الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لايوجب ردهم: ٤.

(٣) اختصار علوم الحديث: ٢٢٠.

وأن بعضهم أكثر من نقده وشك في صدقه.

وأنه لم يكن يعتمد في روايته على الكتابة ولكن على الذاكرة وحدها.

وأنه كان يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويروي عن الصحابة ماقد يكونون انفردوا به من الرواية عنه.

وأن الحنفية تركوا حديثه إذا عارض القياس لأنه لم يكن فقيها.

وأن الوضاع استغلوا شهرته بسعة الرواية فزوروا عليه أحاديث كثيرة.

وهذه المطاعن الملفقة لا تثبت بعد فحصها والامعان فيها. فردود ابن عباس وعائشة على أبى هريرة هي من النقاش العلمي المحض المبني على اختلاف الأنظار في استنباط الأحكام والاجتهاد، وزعمهم مجانبة أبي هريرة الصدق لكثرة ماروي عنه يبطله مارواه مسلم من قوله: «إن إخواني من الأنصار كان يشغلهم عمل أراضيهم، وإن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا»(١). وإن في هذه الملازمة لحرزا وغنى، واعتماده على السماع دون الكتابة هو الظاهرة الغالبة على أهل ذلك العصر، ورواية السماع عند أهل الحديث أولى، وهي مقدمة على الكتابة لبعدها عن طرو التصحيف والغلط. وسماعه من الصحابة مايرونه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مرسل الصحابي وحكمه حكم المرفوع. وقد أجمعوا على الاحتجاج به، ورد خبره عند الأحناف يخضع لقاعدة عندهم وليس خاصا بأبي هريرة. قال فخر الاسلام: «إن كان الراوي من المجتهدين كالأربعة والعبادلة وغيرهم قدم الخبر، وإن كان من الرواة وعرف بالعدالة دون الفقاهة كأبي هريرة وأنس فلا يترك خبره بمعارضة القياس إلا عند انسداد باب الرأي كحديث المصراة»(٢).

وأما تزوير الوضاعين فليس مقصورا عليه فقد زوروا على عمر وعلي وعائشة وابن عباس وابن عمر وجابر وأنس وغيرهم فلا حجة فيه.

---

(١) م: ٢/ ١٩٤٠ - ٤٤ كتاب فضائل الصحابة ح. ٢٤٩٢.

(٢) نقل السباعى عن مسلم الثبوت. السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى: ٣٥١.

ولا تنال هذه الدعاوي من مكانة أبي هريرة رضي الله عنه فقد قال الشافعي: «أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره»(١)، وقال البخاري: «روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره»(٢).

وأما الأمر الثاني المتمثل في انتشار الرواية وكثرة مايروى من الأحاديث. فهو حجر الزاوية عند بحث قضية الوضع لدى المتقدمين والمتأخرين جميعا. وهو يضع أمامنا عند تتبع مقالة أحمد أمين عدة أسئلة: نقتصر على ثلاثة منها:

الأول: متى بدأ الوضع؟

الثاني: ماهو القول المعتمد بشأن أحاديث التفسير؟

والثالث: من أين جاءت هذه الأحاديث الكثيرة التي انتقى منها البخاري جامعه الصحيح؟

وهذه الأسئلة أو التساؤلات هي التي تكشف عن مكمن الخطأ وموضع الارتياب الذي يعالج به صاحب فجر الاسلام قضية الحديث والرواية.

فللاجابة عن السؤال الأول يقول المؤلف عن نشأة وضع الحديث: ويظهر «أن هذا الوضع حدث في عهد الرسول، فحديث «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» يغلب على الظن أنه إنما قيل لحادثة زوّر فيها على الرسول»(٣). وهذا الافتراض باطل من وجوه: أولها أن الوحي محفوظ مما قد يداخله أو يختلط به مادام القرآن ينزل والرسول يبلغ. وقد تكفل الله تعالى لذلك بحماية دينه وسلامة أصول تشريعه من الكتاب والسنة. فلا يتصور، كما هو يقين هذه الأمة، حدوث الوضع في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولو حصل ذلك لبلغ إلينا متواترا لشناعته وسوء أثره، ولوجوب التنبيه عليه من الرعيل الأول القوي الايمان الشديد التمسك بالدين. فلا يسكت عن مثله حتى يأمن الناس بوائقه. وعلى صحة هذا الافتراض فأين سبب ورود هذا الحديث؟ ولمِ

---

(١) الرسالة: ٢٨١/ ٣٧٢.
(٢) الذهبي: التذكرة: ١/ ٣٣.
(٣) فجر الإسلام: ٢٥٨.

لم يتحدث المؤرخون والمحدثون عن ملابساته؟ فكل ماأمكننا الوقوف عليه أن هذا الحديث قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عندما طلب من أصحابه أن يبلّغوا عنه. فأوصاهم بالتحرّي، وحذرهم من التقوّل عليه. وقد جاء هذا الحديث في سياقات مختلفة: رواه البخاري من حديث المغيرة، وهو في الجنائز، ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، وهو في أخبار بني إسرائيل، ومن حديث وائلة بن الأسقع وهو في مناقب قريش(١)، ومسلم من حديث علي وأنس وإبي هريرة وأبي سعيد الخدري(٢)، والترمذي من حديث ابن مسعود وعلي وأبي بكر وعمر وعثمان والزبير وسعيد بن زيد وعبدالله بن عمرو وأنس وجابر وابن عباس وأبي سعيد وغيرهم(٣)، وأحمد بن حنبل من حديث أبي موسى الغافقي(٤). وليس فيها جميعها دليل يشهد لما ذهب إليه صاحب فجر الاسلام. ولا تنهض دليلا على ماادعاه الروايتان الأخريان التي ذكر إحداهما الطحاوي في مشكل الآثار(٥)، وثانيتهما التي أوردها الطبراني في الأوسط(٦)، وذلك لضعف سنديهما، ونكارة متنيهما، وتعلق الحديث فيهما بتزوير حادث دنيوي خاص بالمزور، ولكون من يروى عنه حصول هذا الحادث له مجهولا.

أما أحاديث التفسير فإن النتيجة التي توصل إليها المؤلف بعد النظر والبحث هي قوله: «وحسبك دليل على مقدار الوضع أن أحاديث التفسير التي ذكر عن أحمد بن حنبل أنه قال: «لم يصح عنده منها شيء» قد جمع فيها آلاف الأحاديث»(٧). فبين مايروى من أحاديث في هذا الباب وبين حكم الامام أحمد وهو من هو معرفة بالحديث، بل بين مايرويه هذا الامام نفسه في مسنده

---

(١) ابن حجر. فتح البارى: ١/١٦٤.
(٢) ابن حجر. فتح البارى: ١/١٦٤.
(٣) تَ: ٥/٣٥ – ٤٢ كتاب العلم، ٨ باب ماجاء فى تعظيم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(٤) حَم: ٤/٣٣٤.
(٥) الطحاوى: ١/١٦٤.
(٦) السباعى. السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى: ٢٤٠.
(٧) فجر الإسلام: ٥٢٩.

من أحاديث التفسير وبين مانقله عند أحمد أمين من رأي أو حكم بشأن هذه الأحاديث تقابل مطلق وتناقض كامل.

ولتصوير الحقيقة على الوجه الصحيح لا بد أن نذكر أن من وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم كما صرح بذلك القرآن أن يبين للناس مانزل إليهم من ربهم. لا شك في كونه قد قام بذلك على الوجه الأكمل. فكان يبين لأصحابه معاني القرآن كما يبين لهم ألفاظه. روى عنه من تلقى ذلك منه، واتخذوه لهم شرحا وتفصيلا وبيانا وتوجيها. فلا غرو إذا نقلت عنه أحاديث كثيرة في هذا المعنى. ونحن نعلم تقيد العلماء بها وبالخصوص في المتشابه من القرآن حتى روي عن الشافعي أنه قال: «لا يصح تفسير المتشابه إلا بسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم أو خبر عن أحد أصحابه أو إجماع العلماء»(١). وقال الطبري في شروط التفسير والمفسّر: «إن مما أنزل الله من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا يوصَل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك تأويل جميع مافيه من وجوه أمره– واجبه ونهيه وندبه وإرشاده– وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه وحدوده ومبالغ فرائضه ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض ومأشبه ذلك من أحكام آيه التي لم يدرك علمها إلا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته»(٢).

ونعلم أيضا أن بعض العلماء المتقدمين كان يرى فيما نقله عنه السيوطي: «أنه لا يجوز لأحد أن يتعاطى تفسير شيء من القرآن إلا بما ورد عن الرسول، وإن كان عالما أديبا متسعا في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وليس له إلا أن ينتهي إلى ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم(٣). وكل هذا يفسر اقبال أصحاب دواوين السنة على جمع أحاديث التفسير وتدوينها في مصنفاتهم وبين مروياتهم.

والذي يتبين من هذا كله أن مانقله الكاتب في فجر الاسلام عن الامام

---

(١) مختصر البويطي.
(٢) الطبرى. جامع البيان عن تأويل القرآن: ١/ ٧٤.
(٣) الاتقان: ٢/ ١٨٠.

أحمد غير صحيح، وإنما صح عنه قوله: «ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي»، أو: «ثلاث كتب لا أصل لها المغازي والملاحم والتفسير» روايتان. وفي هذا القول المنقول عنه نفي للصحة لا يستلزم الوضع ولا الضعف. ومن هذا الباب روي عنه قوله: «لا أعلم في التسمية أي بالوضوء حديثا ثابتا» قال ابن حجر: «لا يلزم من نفي العلم بثبوت العدم، وعلى التنزل: لا يلزم من نفي الثبوت ثبوت الضعف لاحتمال أن يراد بالثبوت الصحة فلا ينتفي الحسن»(١). وقد يكون المراد من قول الامام نفي كتب خاصة لهذه العلوم، أو أن ماصح في هذا الباب من الأحاديث قليل وأن الذي يغلب على سائرها، وهو الأكثر، الوضع أو الضعف.

وأما أحاديث البخاري التي انتقى منها صحيح جامعه فإن الاتهام والشك مسلطان على وفرتها وتحديدها بستمائة ألف، كما هو واقع بشأن الصحيح منها. وتساءل الناقد: كيف يصح ذلك؟ وأين ذهبت تلك الأحاديث كلها؟ والجواب عنه: أن أبا زرعة كان يحفظ أكثر من ذلك. قال أحمد بن حنبل: «صح من الأحاديث سبعمائة ألف وكسر، وهذا الفتى قد حفظ سبعمائة ألف»(٢). ولا يلزم أن تكون هذه الأحاديث كلها متصلة مرفوعة فقد يكون فيها أخبار وموقفات وآثار. وقد لا تكون الأحاديث مع هذه الكثرة مختلفة المواضيع ولكنها بضم طرقها المتعدة إليها يزداد عددها ويتضاعف أضعافا كثيرة.

أما زعمه أن ماصح عند البخاري هو أربعة آلاف حديث من غير المكرر لا غير فترده أقوال العلماء. ذكر ابن الصلاح في مقدمته: «فقد روينا عن البخاري أنه قال: ماأدخلت في كتاب الجامع إلا ماصح، وتركت من الصحاح لملال الطول»(٣). وروينا عن مسلم أنه قال: «ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هاهنا، إنما وضعت هاهنا ماأجمعوا عليه»(١).

وقال ابن كثير: «إن البخاري ومسلما لم يلتزما بإخراج جميع مايحكم

---

(١) نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار.
(٢) الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد: ١٠/٣٣٢: السمعاني. الأنساب: ٦/٣٦.
(٣) ابن الصلاح. علوم الحديث: ١٩.

بصحته من الأحاديث. فانهما قد صححا أحاديث ليست في كتابيهما كما ينقل الترمذي عن البخاري تصحيح أحاديث ليست عنده بل في السنن وغيرها»(٢).

ولا يقف كما قدمنا مكر أحمد أمين عند هذا الحد من توجيهه الطعون للسنة وترويجه الشبهات حولها، فيقفز إلى شنعة أخرى يرددها عن المستشرقين هي إتهاماتهم علماء المسلمين بقصر النظر، والاكتفاء من العلم بالكتاب والسنة والتدبر لهما والتعمق في دراستهما، آخذين في كل شيء بالمنقول أو العلم النقلي دون مايمكن أن تهدي إليه مسالك المعقول أو النظر العقلي. وقبل القيام بدراسة موضوعية تعينه على تصور مناهج المحدّثين في النقد ودراستها يسبق، كما هي عادة من في قلوبهم مرض ممن يريدون فرض تصوراتهم بأي شكل ومن أي طريق، إلى اتهام الأئمة والطعن في مكاناتهم والقدح في أحكامهم، إضعافا لشأنهم وصرفا للطلاب والباحثين عنهم.

فقد أورد في كتابه بشأن عبدالله بن المبارك، الذي عدّه ابن مهدي أحد الأئمة الأربعة مع الثوري ومالك وحماد بن زيد، وقال عنه النسائي: «لا نعلم في عصر ابن المبارك أجل من ابن المبارك ولا أعلم منه ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه»(٣). وذكره ابن معين: «مارأيت من محدث لله إلا ستة، منهم ابن المبارك. وكان ثقة عالما متثبتا صحيح الحديث، وكانت كتبه التي حدث بها عشرين ألفا»(٤). قال عنه في معرض حديثه عن الوضاعين: «وبعضهم كان سليم النية يجمع كل ماأتاه على أنه صحيح، وهو في ذاته صادق. فيحدث بكل ماسمع، فيأخذه الناس عنه مخدوعين بصدقه، كالذي قيل في عبدالله بن المبارك أنه ثقة صدوق اللسان، ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر»(٤).

وبهذه الشهادة التي لفقها، وتبرع بها، قصد نقد مقالات الأئمة السابقين

---

(١) المقدمة: ٢٠: مَ: ١/٣٠٤ – ٤ كتاب الصلاة، ١٦ باب التشهد فى الصلاة. ج ٦٣.
(٢) اختصار علوم الحديث: ٩ – ١٠.
(٣) ابن أبى حاتم. الجرح والتعديل. المقدمة: ٢٦٢ – ٢٨٠.
(٤) السيوطى. طبقات الحفاظ: ١٢٣، رقم ٢٤٩.

في ابن المبارك، أراد أن يزكز في أذهان معاصريه ومن يأتي بعدهم أن هذا العالم الناقد كان من الوضاعين وأنه به غفلة، وأن سلامة نيته مع صدقه كانا سببا في رواية الباطل عنه، وانخداع الناس به.

وقد تولى الدكتور السباعي الرد عليه في ذلك، وخطأه فيما أدلى به من كلام مسلم الذي حرفه عن أصله الذي ورد به. وقال إن عبارة مسلم في الصحيح هكذا: «حدثني ابن قهزاد قال: سمعت وهبا يقول عن سفيان عن ابن المبارك قال: بقية صدوق اللسان، ولكنه يأخذ عمن أقبل وأدبر»(١). و «بقية» لا ثقة هنا هو أحد المحدثين في عصره. فالكلام المستشهد به كان في ترجمته رجل آخر هو بقية، لا مقالة لمسلم يصف بها ابن المبارك. وإذا كان هذا التلاعب أوالخطأ في النقل أصلا لما يبني عليه من تصورات وأحكام، فإن المترتب على الفاسد فاسد. وتكفي للوقوف على وجوه الرد على هذه المقالة العودة إلى كلام السباعي(٢).

أما اعتماد الحديث بكثرة في الأحكام الشرعية وعدم اللجوء إلى المصادر العقلية في ذلك فالكلام فيه يطول. وهو مبسوط في كتب أصول الفقه، يعرفه كل من شدا مبادىء هذا الفن، أو ألم بصورة مجملة مما حرره العلماء والمؤرخون في كتب التشريع الاسلامي.

وزعمه أن نقد متون الحديث لم يحظ بكبير اهتمام من علماء السنة كالأسانيد، واقتراحه في هذا الغرض وجوها وملاحظات لا بد من اعتبارها والالتفات إليها للوثوق بالأخبار تعوزه النظرة الفاحصة، والوقوف على ماكتبه علماء هذا الفن، والاستقراء لما اعتمده النقاد من أصول في علمي التجريح والتعديل، ولما وضعوه في كتب الحديث من قواعد. ولعل الذي حمله على سلوك هذا المنهج حرصه على بث الشك والريبة في قلوب قرائه وعقولهم، لذا أتبع مقالته تلك بأمثلة وشواهد من الأحاديث الصحيحة يعرضها على طريقته

---

(١) السباعي. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ٢٥٢.
(٢) كتاب السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: ٢٥٠ – ٢٥٤.

في النقد، للحمل على استنكارها وردها، توصلا إلى هدفه وبلوغا إلى مقصده من حديثه عن السنة.

وذهب أحمد أمين بعد ذلك بخيره وشره، وترك بمواقفه التي ألمعنا إليها وناقشناه القول في بعضها مدرسة تذهب مذهبه وتردد أقواله من أبرز أعلامها كاتبان:

أولهما د. إسماعيل أدهم الذي أحدث كتابه «تاريخ السنة» ضجة كبرى في الأوساط العلمية والاسلامية. وهو كتاب خطير كذب فيه أحاديث الكتب الصحاح. وتولى د. محمد مصطفى الأعظمي تعقب أقواله والرد عليه في كتابه دراسات في الحديث النبوي(١).

وثانيهما د. محمود أبو رية صاحب كتاب «أضواء على السنة المحمدية». وقد اشتهر أمره وكثر الحديث عنه وقال عنه السباعي: «فلما اطلعت على كتابه هالني مارأيت فيه من تحريف للحقائق، وتلاعب بالنصوص، وجهل بتاريخ السنة، وشتم وتحامل على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من كبارهم كأبي بكر وعمر وعثمان إلى صغارهم كأنس وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهم جميعا. وقد امتلأ قلبه بالحقد على أكبر صحابي– هو أبو هريرة– حفظ سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. ونقلها لأهل العلم من صحابة وتابعين حتى بلغوا كما قال الشافعي ثمانمائة كل واحد منهم جبل من جبال العلم والفهم والهداية»(٢) وهو رغم فساد رأيه وخطره على المسلمين في دينهم وعلى الناشئة لم يأت بجديد. فهو يستقي أفكاره وآراءه من مواقف المتقدمين من الزنادقة والمعتزلة وأهل الأهواء، ويستمد اتجاهاته من مواقف المتأخرين من المستشرقين ومن تبعهم من دعاة التحرر من الدين والقول بالرأي فيه. ومن أجل ذلك فلسنا في حاجة إلى مناقشته، بعد كل ماتقدم، ولكننا نكتفي بعرض آرائه ملخصة لحرصها، وتبيين إضافاته لتقرير ماأوحي له بها منها.

---

(١) دراسات فى الحديث النبوى وتاريخ تدوينه: ٢٧.

(٢) السباعى. السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى: ٤٦٤.

فهو يبدأ بذكر حقيقة معلومة من الناس جميعا، هي عدم تدوين السنة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم. ويستنتج من ذلك أن غيبة التدوين في هذه الفترة أدت إلى انقسام الناس إلى فرق، وإلى اختلاف بينهم في المذاهب. وقد شجع ذلك كله وجود كثير من الأخبار وانتشار الوضع بين أصحاب تلك الفرق.

فإذا عاد بعد ذلك إلى التراث النبوي، وهو الحديث أو السنة جعله، نوعين: السنة العملية، والسنة القولية. فالعملية عنده هي السنة المتواترة، وماأجمع عليه المسلمون في الصدر الأول، وماكان معلوما من الدين بالضرورة. وموقع هذه السنة العملية تال لمحل القرآن، وهما بحسب مايظهر من قوله مصدرا الشريعة. أما السنة القولية فهي في الدرجة الثالثة، ولا يلزم العمل بها لأنها وإن ثبتت أو صحّت لا ترقى إلى القرآن وإلى السنة العملية. فهذان يضعان الدين العام الذي يلزم اعتقاده واتباعه، بخلاف القولية فإنها لا تحدد ذلك. وعلى هذا الأساس فارق كلام العلماء والمجتهدين واعتبر أخبار الأحاد غير ملزمة بالعمل إلا لمن صحّت عنده روايةً ودلالةً. فلا تكون تشريعا عاما تلزم به الأمة إلزاما، تقليدا لمن ثبتت عنده وأخذ بها.

وفي كتابه يعود إلى بعض رجال العصر الأول ممن ورثنا عنهم علما وحكمة وشريعة وأدبا نبويا، فيسلك مسلك المستشرقين ومن تبعهم مع إبي هريرة رضي الله عنه. ويصف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا بكل منقصة وضعة. ويقول: فهو ليس في العير ولا في النفير، وأنه كان مصانعا في حياته العملية للحاكمين، وأنه حين سئل عن موقفه منهم قال: «علي أعلم ومعاوية أدسم والجبل أسلم»[1]، وأنه حدث بأحاديث كثيرة أنكرها عليه معاصروه من الصحابة. ويبطل هذه المقالة مارواه ابن كثير عن طلحة بن عبدالله من قوله عنه: «والله مانشك أنه قد سمع من رسول الله ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم، إنا كنا قوما أغنياء لنا بيوت وأهلون. وكنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار ثم نرجع، وكان هو مسكينا لا مال له ولا أهل، وإنما كانت

(١) أبو رية. أضواء على السنة المحمدية: ١٥٦ – ١٥٧.

يده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يدور معه حيثما دار. فما نشك أنه علم ما لم نعلم وسمع ما لم نسمع»(١).

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر في أول مسند أبي هريرة عندما رد على خصومه ومن تحرش به قديما وحديثا: «وماكانوا بأول من حارب الاسلام من هذا الباب. ولهم في ذلك سلف من أهل الأهواء قديما، والاسلام يسير في طريقه قدما، وهم يصيحون ماشاءوا، لا يكاد الاسلام يسمعهم بل هو إما يتخطاهم لا يشعر بهم، وإما يدمرهم تدميرا(٢). وينقل إثر ذلك كلمة لأبي بكر بن خزيمة في الرد على من تكلم في أبي هريرة، قال: «وإنما يتكلم في أمر أبي هريرة، لدفع أخباره، من قد أعمى الله قلوبهم فلا يفهمون معاني الأخبار»(٣). فإذا بحثنا عن أسباب هذه المواقف أدركنا أن العامل الدافع له لاتخاذها هو التوصل إلى القول بأن السنة ليست موضع ثقة، وأن كثيرا مما اشتملت عليه يطعن في صحتها. ويرفض كل مارواه أئمة الحديث المتثبتون وأئمة الفقه المجتهدون من حقائق لا تعجبه، فلا يعتد بجهود العلماء والنقاد في ضبطها وتنقيتها ويتهمهم بالعجز والتقصير قائلا في سياق التظاهر بعنايته بالحديث: «إن العلماء والأدباء لم يولوه مايستحق من العناية والدرس وتركوا أمره لمن يسمون رجال الحديث يتناولونه فيما بينهم ويدرسونه على طريقتهم(٤). وهو يؤاخذ هؤلاء بقلة سبرهم لغوامض المعقول ويقدح في علمهم، مفضّلا عليهم الأدباء وعلماء الكلام من المعتزلة، داعيا إلى وجوب عرض نصوص السنة على العقل الصريح لتلافي التقصير والغفلة.

وقد قيض الله للسنة في هذا العصر من يذود المارقين عنها ويبطل مقالاتهم ويرد عليهم الأباطيل والشبه. فكان منهم الشيخ مصطفى حسين السباعي بكتابة السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي.

---

(١) تاريخ ابن كثير: ٨/١٠٩.

(٢) مسند أحمد. تحقيق أحمد محمد شاكر: ٢١/٨٤ – ٨٥.

(٣) الحاكم. المستدرك: ٣/٥١٣.

(٤) انظر السباعى. السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى: ٧، ٢٧، ٣٤.

محمد عبدالرزاق حمزة بظلمات أبو رية أمام أضواء السنة المحمدية.

عبدالرحمن المعلمي اليماني بالأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة.

محمد الغزالي بدفاع عن العقيدة والشريعة.

محمد أبو شهبة بدفاع عن السنة.

عبدالمنعم صالح العزي بدفاع عن أبي هريرة.

محمد مصطفى الأعظمي بدراسات في الحديث النبوي.

وقد نال المسلمين في الهند وباكستان مثل مانال العرب أو أشد منه في ديارهم من حكم استعماري واستغلال أجنبي وخاصة بعد إخفاق ثورتهم التحررية ١٨٥٧، فأصابهم الانقسام، وشغلتهم الفتن عن حماية معتقداتهم والكفاح عن دينهم، وضعفت المدارك وقل العلم العصري وحتى الديني، واخترقت الاتجاهات الفكرية الغربية الاستعمارية وما تولد عنها من حركات وجماعات تكيد للاسلام تلك القارة. فمن مذاهب وثنية تنتشر عن طريق الهندوس إلى حركات تنصيرية سافرة العداء، ومن قاديانية مضللة مبتدعة مفارقة للملة إلى بريلوية وجراكلوية تقوم على تعطيل مفاهيم الاسلام، وتحريف تعاليمه. وما من شك في أن للمستشرقين في ذلك يدا كما للسياسة الاستعمارية. ذكر السباعي في ملحق، متى نسد هذه الثغرة، أن هذه الفئة المسخرة من قديم لمحاربة الاسلام: «عقدت منذ بضع سنوات مؤتمرات للدراسات الاسلامية في لاهور بباكستان دعت إليه فيمن دعت تلاميذها الفكريين في الهند وباكستان. وكان أشد المستشرقين تعصبا وأكثرهم جهلا الأستاذ الكندي سميث... وكان مما ألح عليه المستشرقون يومئذ بحث السنة والوحي النبوي، ومحاولة اخضاعهما لقواعد العلم كما يزعمون. وقد انتهى بعض تلامذتهم إلى إنكار الوحي كمصدر للاسلام واعتبار الاسلام أفكارا إصلاحية من محمد صلى الله عليه وسلم»[١].

(١) السباعي. السنة ومكانتها في التشريع الرسلامي: ٤٦٠.

وإذا أردنا تتبع مسلسل هذه الفتنة في بلاد الهند يكون من الضروري، قبل الحديث عن تلك الحركة العلمية الثقافية التقديمة التي كانت تريد أن تؤلف بين الاسلام والحياة العصرية فأخطأت الطريق وانحرفت عن الكتاب والسنة، أن نشير إلى مؤسسي هذا الاتجاه وهماالسيد أحمد خان ومولوي جراغ علي.

١) الأول: ١٧/١٠/١٨١٧ بدلهي– ٢٧/٣/١٨٩٨ بعليكره، عمل بعد وفاة والده بشركة الهند الشرقية، وتوثقت صلته بالحكم الانجليزي. فعين مساعدا للقاضي البريطاني بالمحكمة الانجليزية. وتميزت حياته العلمية بتصنيف الكتب وإصدار المجلات الثقافية والعلمية، كما قام بتأسيس المدارس والمعاهد وجامعة عليكره الاسلامية ونوادي العلوم.

ومن كتبه التاريخية أسباب الثورة في الهند، وكان مواليا فيه للدولة الأجنبية الحاكمة. وله تفسير للقرآن، ومقالات دينية نفث فيها كثيرا من آرائه. فانقسم الناس في شأنه: بعضهم يقصر به عن المقدار الذي يستحقه وينسب إليه العظائم، والبعض الآخر يلقبه بالمجدد الأعظم والمجتهد الأكبر، وإنه في واقع الأمر لكبير الفكر قليل العلم، ليس ملتزما بتعاليم دينه ولا يقوم بواجباته الدينية(٢). فلا غرو بعد ذلك أن ثار بينه وبين علماء عصره ذلك الجدل الحامي لما رأوا من تعاونه مع الانجليز، ودعوته إلى الأخذ بثقافتهم، وإبدائه في الدين آراء منكرة تتفق وعقليته واتجاهه. ففسر القرآن بهواه، غير ملتزم بدلالات ألفاظه وتراكيبه، وفارق ماأجمع عليه علماء المسلمين في كل العصور بانكار عدد من الغيبيات، وشتم الفقهاء والمحدثين(٣). ولم تكن آراؤه في السنة قائمة إلا على التشكيك في صحتها، وعلى عدم وجوب العمل بما ورد فيها من أحكام، لأنها لا تعدو أن تكون أحكاما اجتهادية لا نصية ولا حتمية.

٢) والثاني وهو مولوي جراغ علي ١٨٤٤– ١٨٩٥. من أتباع السيد أحمد خان وتلاميذه. استعان به المستعمرون حين انتبهوا إلى خطورة الجهاد،

(٢) بخش. فرقة أهل القرآن: ٧٤ – ٧٦.
(٣) بخش. فرقة أهل القرآن: ٧٦ – ٧٧.

فسار سيرتهم مع القادياني يطعن في أحاديث الجهاد ويؤولها. كما أول نصوص الاسلام بما يتلاءم مع الحياة الأوربية، ووقف مواقف غريبة من أحاديث كثيرة تتعلق بالحرب، والأسر، والمرأة، مركزا رأيه في السنة على أساسين:

الأول: «أن القرآن كامل من كل الوجوه، ويواكب سير الحضارة وتطورها، ويرفع متبعيه إلى أعلى درجات الرقي والتمدن، فإن أحسنا تفسيره وتعبيره سلك بنا هذا المسلك، وإن قيدناه بآراء المفسرين ومنهجهم وحصرناه في الروايات فإن الوضع ينقلب رأسا على عقب، فنسير في الهبوط والهاوية بدلا من التقدم ومسايرة الركب، لأن الروايات لم يصح منها إلا القليل، بل جلها فرضيات وأوهام للعلماء، أو أنها دلائل قياسية وإجماعية. وهذا المسلك هو مايسير عليه قانون الشريعة والفقه. ولا شك أن مثل هذا المسلك يحجز عن الرقي والتقدم ومسايرة ظروف الحياة»[١].

والأساس الثاني يكشف عنه هذا الدعي الداعية بقوله: إن المحققين الذين جمعوا الأحاديث وميزوا بين سقيمها وصحيحها خرجوا بأن الحديث مهما قوي سنده لا يمكن الاعتماد عليه، وماذكر فيه غير حتمي قطعا. فلو أمعنا النظر في هذه الحقيقة لاضطررنا أن نقول: «إن معايير الصدق والاصول العقلية لا حاجة لاقامتها لتميز الحديث، لأن الحديث في حد ذاته شيء لا يمكن الاعتماد عليه ولا اعتبار فيما يتحدث عنه»[٢].

فالأستاذ وتلميذه سارا من منتصف القرن الماضي التاسع عشر على منهج في الدراسة والدعوة، فيه زلزلة لقواعد الاسلام ودك لأصوله بالصرف عن السنة صرفا تاما، والطعن في الدراسات الاسلامية وبخاصة الشرعية، والدعوة إلى تفسير جديد للقرآن يتأول به على نحو يجعله متماشيا مع أنماط حياة المجتمعات المعاصرة المتطورة، خاضعا لأهوائها، تحكمه ولا يهيمن عليها،

---

(١) تحقيق الجهاد: ١٢١.
(٢) أعظم الكلام: ١/ ٢٠.

وتغير أفهامه فيفقد روحه وسلطانه، وتبيد مبادىء الاسلام وقيمه عن طريق التحريف، ويصير تابعا لارادة الطاغوت محكوما بها منحرفا عن الحق، بعيدا عن أداء رسالته الخالدة التي جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه، ودعا إليها الناس كافة ليملأ الأرض طهرا وعدلا، ويقيم الموازين الحق من أجل إسعاد الانسان والسمو به والصون لكرامته والتحقيق لعزته.

وتلك المحاولة الماكرة التي نلمس آثارها إلى اليوم في الشرق والغرب وتنشرها باستمرار اقلام دعاة الفكر المتحررين، المتقمّصين للاسلام خدعة، وللتجديد الديني شعارا من غير أن يكون لهم به أي ارتباط او صلة، مضت تغالط العامة وتضلل السذج، في وقت انعدم فيه الوازع من النفوس، وضعفت فيه الثقافة الدينية أو زالت من كثير من الأوساط. واستمرت يرعاها ويسهر عليها على امتداد آثارها في بلاد الهند وباكستان ثلة من المفكرين تلقوا باليمين لواء الضلالة عن السيد أحمد خان ومولوي جراغ على المتقدمين. برز منها في شرقي الهند ببهار محب الحق عظيم أبادي، وبلاهور من بلاد باكستان غلام نبى عبدالله الجكرالوي.

٣) ولد الأول في أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر وتوفي في أواخر الخمسينات من القرن العشرين. كان في الأول سنيا حنفيا، وانتسب إلى الطريقة النقشبندية، ثم ما لبث أن تحول إلى عضو بارز في حركة القرآن الهدامة. وهو بمكره لم يجابه الناس في سلوكهم الديني. وبقي محافظا على مظاهر الارتباط بقومه إلى أن ظهرت بعد ذلك نزعته الجديدة، بما نشره من مقالات في مجلة البيان ومجلة طلوع إسلام، وبما صدر عنه من كتب دلت على تذبذبه الفكري العقدي «كمنهاج الحق» أو على مفارقته للجماعة ومروقة وهو «بلاغ الحق». وهذا الداعية وإن كان مع الجراكلوي كفرسي رهان إلا أنه لم يشتهر شهرته ولا ذاع صيته مثله. وإن تشكلت، بعد وفاته ومنذ عقد من السنين، فرقة تقتفي أثره وتدعو إلى منهجه الفكري العقدي بأواسط الهند.

٤) أما غلام نبي عبدالله الجكرالوي وليد جكراله بالبنجاب بباكستان في

أواخر العقد الثالث من القرن التاسع عشر والمتوفي بميان والي، فقد كان أشد خطرا من محب الحق. وكان أول أمره من طلاب الحديث، تخرج فيه على يد ميان نذير حسين، وبعد مناظرة حصلت بينه وبين ابن عمه القاضي قمر الدين خرج عن قومه متأثرا بالبلبلة الفكرية والعقدية التي أحدثتها ببلده الفرق المتعددة، وأظهر مخالفته لما عليه المسلمون في كثير من أصول عقائدهم، وتبع حسب ما نشره محمد علي مقصوري بمجلة الاعتصام الاسبوعية التوجيهات السياسية البريطانية التي استغلته كما استغلت المرزا غلام أحمد القادياني لأحداث ماأحدثاه من فتنة واضطراب في البلاد. وفي هذه الآونة اتخذ المشروع الانجليزي نوعا جدياً من المناورات المناوئة للاسلام. فضمت صفوفه السياسية كثيرا من القساوسة المبشرين، مما مكنها من اصطياد بعض الشخصيات الاسلامية، وإيقاعها في شبكة التحريف ضد الاسلام، كما انضم إلى هؤلاء بعض من يريد الدنيا فحرضتهم السلطات الانجليزية على أن يقوموا بأعمال تبعد الثقة عن النفوس تجاه الحديث الشريف، ويستغلوا الضمائر المنافقة من المسلمين، وكان على رأس هؤلاء جميعا عبد الله الجكرالوي. وقد اختاره المسيحيون لأداء هذه المهمة. فرفع صوته بإنكار السنة كلها، وأخذ يدعو إلى هذا المشروع الهدام، وبدأت كتب التأييد والرسائل تصل إليه من المبشرين بالمسيحية، وتعده بالمساعدات المالية، وتشكره على هذا المجهود الجبار(١).

ومما يشهد لهذا الاتجاه الذي جرى عليه الجكرالوي قوله معلناً عن موقفه من السنة: «هذا هو القرآن الموحى به وحده من عند الله إلى محمد، وإن ماعداه فليس بوحي». ولنشر آرائه أسس ١٩٠٢ فرقة أهل الذكر والقرآن المحاربة للسنة بلاهور، وألف الكتب بالأردية: نحو أربعة عشر رسالة أو مصنفا منها «تفسير القرآن بآيات الفرقان»، وترجمة القرآن بآيات الفرقان، وصلاة القرآن، وماعلم الرحمن بآيات الفرقان، وإشاعة القرآن، والزكاة والصدقات كما

(١) مجلة الاعتصام الاسبوعية. فبراير ١٩٥٦، ٦٥ – ٦٦.

جاء في آيات بينات إلى غير ذلك من الضلالات التي عززت مقالاته في الصحافة والمجلات. وقد كانت مكتبة ربوة القاديانية هي الوحيدة التي احتفظت بكتبه. أما فيما وراء ذلك فقد صودرت وأحرقت فلا تقع اليد عليها في أي مكان. وسبب ذلك الحملة الشديدة التي قام بها علماء الاسلام في الرد عليه دفاعا عن الملة والدين. ولما أحدثته أقواله وتصريحاته ومقالاته ومحاوراته من تغيير لجوهر الدين وإفساد له، تبرأ المسلمون منه وأنكروا دعوته، ومأأحدثه من صفة الصلاة التي جعلها ثلاثا من غير عصر ولا مغرب، وقصرها في كل مرة على ركعتين، واعتبر ما زاد على ذلك من تعيين الناس لا من تعيين رب الناس، وجعل تكبيرة الاحرام أن تذكر أن الله كان عليا كبيرا»، ونقص من الصلاة الرفع من الركوع، وإنما هي ركوع فسجود، ولا يتعدد السجود في الركعة الواحدة وتنقضي الصلاة بالانتهاء من أذكار السجود.

ويصف محمد رمضان الجكرالوي كيفية الصلاة: بالشروع بتكبيرة الاحرام، وقراءة خمس وعشرين آية حصرها لهم من مختلف سور القرآن، ثم يركع بتكبيرة إحرامه الخاصة ويقرأ في الركوع ثلاث آيات، ثم يسجد ويقرأ خمس آيات مختلفة. فإذا تمت الركعة الأولى قام بثانية مثلها فإذا سجد فيها انقضت الصلاة(١).

ومن أجل ذلك أفتى بكفره أكثر علماء القارة الهندية في باكستان والهند وبنجلاديش، وقامت مجلة إشاعة السنة بنشر توقيعات علماء الدين الذين وقفوا هذا الموقف منه، وحكموا بخروجه عن بوتقة الاسلام، وأنه مقطوع الصلة عن الدين والمسلمين(٢). ولم يصده كل ذلك عن محاربة دينه ومحاولة تحريف عقيدة المسلمين من حوله.

٥) وقد خالط الجكرالوي رجل متميز يسايره في الاتجاه، ويعمل مثله لابطال حجية السنة نظريا وتطبيقيا هو الخواجة أحمد الدين الأمر تيسري. ١٨٦١ بأمر تسر بالهند– ١٩٣٦. تعلم هذا الرجل القرآن في طفولته، وأخذ

(١) بخش. فرقة أهل القرآن: ٢٣٢.
(٢) مجلة إشاعة السنة. مجلد ١٩ ملحق ٧/٢١١.

بحظ من العلوم الاسلامية ثم دخل مدرسة المبشرين فدرس الكتاب المقدس وتعلم الاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفلك والمنطق وعلم النبات وطبقات الأرض. وأصبح بذلك التخرج عجيب التكوين متفهما لكل الميول، متقبلا لكل الاتجاهات، يستمد أصول منهجه الفكري من أحمد خان، ويحاور عبدالله الجكرالوي، ويجالس القادياني. ومهما اختلفت الآراء من حوله واشتدت الفتنة استمر الدعامة القوية لتفكير أهل القرآن. فبليونة طبعه استمال الأثرياء والنبغاء والنبهاء الذين انقادوا لنظرياته، وشجعوه على تكوين حزبه أو جماعته الموالية لجماعة أهل القرآن ١٩٢٦، والتي كان يسميها «أمة مسلمة» وبكتابه معجزة القرآن وغيره من المؤلفات مثل أصل مطاع، وتفسير بيان للناس، وبرهان الفرقان، وريحان القرآن، وبمقالاته في مجلة البلاغ، التي أصدرها باسم الجماعة، نشر نظرياته الخاصة وأفكاره. فقامت من حوله جماعة من المحاضرين وأساتذة الجامعات وأعضاء السلك القضائي، كما أيده وناصره وشد أزره محب الحق عظيم أبادي المتقدم الذكر. وكان في صلاته على سنن عبدالله الجكرالوي «صلاة القرآن كما علم الرحمن» والمفروض عنده منها اثنتان في اليوم والليلة لا يتعداهما. ولفرقة أهل القرآن في شؤون الزكاة آراء خاصة تختلف بين جماعاتهم، فمن رأي الجكرالوي إلى رأي أصحاب البلاغ، ومن رأي الخواجة أحمد الدين إلى رأي برويز. ولهم في الصيام أقوال منها أنه لا يلزم حصره في شهر رمضان ويجوز صيام أي شهر شمسي بحسب الظروف والحاجات[١].

وتتميز فرقة الأمر تسري بإنكارها قانون الميراث (الفرائض)، ودعوتها إلى توريث ابن الابن مع وجود الابن للميت، وجعل الوصية فرض عين على المتوفى لمن شاء من ورثته، وإعطاء الارث لمستحقه بقطع النظر عن ديانته وحريته، كما لها مواقف خاصة من المعاملات والحدود وغيرها[٢].

٦) الحافظ محمد أسلم جراجبوري ١٨٨٠ بجراجبور بالهند –

(١) بخش. فرقة أهل القرآن: ٢٥٤ – ٢٥٥.
(٢) بخش. فرقة أهل القرآن: ٢٨٤ – ٢٩٥.

١٩٥٥/١٢/٢٨. ظهر على عقب سلفه الخواجة أحمد الدين الأمر تسري. تعلم القرآن في صغره وحفظه ولذلك لقب من طفولته بالحافظ، وحذق اللسان الفارسي لسان العلوم الاسلامية في بلده وكذا الانجليزية والعربية، ودرس الرياضيات، وقد ساقته مواهبه في الأول إلى جريدة بيسة اللاهورية ١٩٠٣ واشتغل بالكتابة فيها، ثم تدرج من مدرس للعربية والفارسية بثانوية عليكره ١٩٠٦، إلى أمين عام لمكتبتها، ومن هذا العمل الاداري ١٩٢١ إلى محاضر بجامعة عليكره الاسلامية، ثم تحول للتدريس بالجامعة الملية. وهو ممن لم يسلم بفرائض الله ونظام المواريث الاسلامي. وكان متأثرا جدا بالخواجة أحمد الدين، يدل على ذلك ترجمته لكتابة معجزة القرآن إلى العربية، ووضعه كتاب محجوب الارث على غرار مافعل سابقه، والوراثة في الاسلام. ونشر كتبا كثيرة أخرى بعضها في دقائق القرآن، وتعليم القرآن، وتاريخ القرآن، وعقائد الاسلام. وبعضها الآخر في مكانة السنة في الاسلام، وفي نقد العلوم المستنبطة لخدمة السنة، وبعضها في التاريخ الاسلامي بالاردية وكذا تاريخ نجد وحياة حافظ الشيرازي ونحوها.

وهو إلى جانب دعوته لجماعة أهل القرآن وموالاته لها وإعلانه ذلك في كتبه ومقالاته التي كان ينشرها في عدد من المجلات مثل بلاغ وبيان الامر تسريتين والجامعة، وأهل الحديث، وطلوع إسلام، والمعارف، كان اشتراكيا يعتقد أن هذا الاتجاه الفكري السياسي مرتبط أي ارتباط بالاسلام. وكان يدعو إلى تحويل ملكية الأرض إلى الدولة وينوه بالاتحاد السوفييتي قائلا: «إن الملة الروسية جددت العمل الاسلامي الذي وجد في العهود السابقة، بل أجود منه، إذ اطاحت بالرأسمالية وملاك الأرض وأصحاب الامارات الصغيرة. وهذا معنى لها من كلمة لا إله إلا الله، وهي أول لبنة في الاسلام. وهذا العمل هو عين الامتثال لمبدأ الشهادتين[١].

٧) وقد برز على إثره واشتهر بين أصحاب جماعته غلام أحمد برويز ١٩٠٣ بتالة القريبة من قاديان بالبنجاب الشرقية. وهو رجل لم يدرس طويلا ولا

(١) نوادرات: ١١٥.

تخرج من المعاهد العلمية ولا الجامعة، ولكنه كان نشيطا وذكيا. انتسب في الأول إلى المطبعة الحكومية واستمر على العمل بها إلى أن أصبح مديرا لها. ورعى مجلة طلوع إسلام التي أصدرها صديقه السيد نذير أحمد ١٩٣٨، ثم استحوذ عليها فنشر بها الأفكار الاسلامية في الأول. وكان بها يذب عن الجامعة الاسلامية التي دعا إليها محمد على جناح، وعمل على دعمها. وبعد الاستقلال تحول من الهند إلى باكستان مع مجلة طلوع إسلام، واستقر بكراتشي حيث أمدته الحكومة بالاعانة، ولم يظهر في الساحة أحد من المعارضين. فكون لطلوع إسلام مراكز ونوادي هنا وهناك، والتفت من حوله نخبة من المفكرين من مثقفين وقضاة وجامعيين ومهندسين. فعقد الاجتماعات والمؤتمرات، وبرزت دعوته لجماعة أهل القرآن في الآفاق متجاوزة حدود الهند إلى البلاد العربية والأوربية وأميركا، وعين ١٩٥٦ عضوا بلجنة التقنين بباكستان ولو لم يستمر بها طويلا بسبب الانقلاب العسكري الذي قام به أيوب خان، وحين عهد إليه بخطبة الجمعة لحسن نواياه السابقة بمسجد سكرتارية دهلي «أخذ أسلوبه يتلون من يوم لآخر. فبدأ بالتأويل في السنة فالتعريض بها، وأخيرا إنكار حجيتها وعدم الاعتماد عليها في شرع الله عز وجل. ولم يمض وقت طويل على ظهور هذه الافكار منه حتى استولى الحماس الديني على موسى الفراش بالسكرتيرية، فأخذ بتلابيب الخطيب وهدده، ونهاه عن إلقاء مثل هذه الترهات، فلم يعد إلى الخطابة مرة ثانية بذلك المسجد[١].

وإن انتساب بريز الفكري إلى أحمد خان، وعلاقته الوطيدة بالجكرالوي وحركته ليبرزان في وضوح من خلال مقالاته في طلوع إسلام ومعارف، وعن طريق كتبه الكثيرة التي نذكر منها: الأصول القرآنية، والأقضية القرآنية، مطالب القرآن، ومفهوم القرآن، ولغات القرآن. ولقد اشتعلت الفتنة في لاهور ١٩٥٨ بإتخاذه إياها مقرا دائما لدعوة طلوع إسلام، ولمواجهة هذه الحركة اتخذ أبو الأعلى المودودي نفس المدينة مقرا للجماعة الاسلامية، فناقش برويز وحذر

(١) قول فيصل: ١٥.

الناس من اتباعه، وأفتى أركان المدرسة العربية الاسلامية بكراتشي، بعد عرض آرائه وأفكاره على أكثر من ألف عالم من علماء الدين بباكستان والهند والشام والحجاز، بكفره وخروجه عن ربقة الاسلام(١).

ويقول صاحب فرقة أهل القرآن، مجملا القول في ثقافته ومنهج دعوته: «والحق أن فكر برويز يمتاز بالاطلاع الواسع على الأفكار الأوربية، ويرى وجوب صبغ الاسلام بها، وهو بالاضافة إلى ذلك يعتقد أن النظريات العلمية لا تقبل الجدل والمناقشة بل يجب تفسير القرآن بمقتضاها كما أن اسلوبه المشرق في مؤلفاته يخلب قارئه من حيث يذهل عما يدس فيها من الأباطيل. أما التأويل وصرف الكلمات عن معانيها الحقيقية في كتبه فحدث عنه ولا حرج. فما من معتقد إسلامي إلا مسه قلم برويز بالتأويل بأسلوب لا يفطن إليه إلا معتمق في دراسة العلوم الاسلامية(٢).

هذه سلسلة الافك والضلال، التي توالت حلقاتها ببلاد الهند من أحمد خان إلى برويز، تعطينا صورة عما بذلوه من جهود في محاربة الاسلام. وقد أسس كل واحد منهم بطانة من حوله، وأفسد بتلك البطانة أفواجا من الناس وأجيالا، داخل البلاد وخارجها، تأولت الاسلام، وحرفت معاني القرآن، وأنكرت السنة، وغيرت أصول الدين وقواعده، إتلافا لروح الأمة، وقضاء على الجماعة الاسلامية، وتفكيكا لوحدتها. وإن قادة الضلال والكفر هؤلاء وإن ولوا بالعار والخزي، وباؤوا بالخسران دنيا وأخرى، قد التقوا جميعا على الطعن في السنة ومحاربتها مثيرين الشبهَ الكثيرة من حولها. وهي شبه قد سبقت الاجابة عن أكثرها، لا تحتاج من المؤمن الصادق إلى كبير جهد لدفعها وإبطالها، ولكن ﴿**الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم**﴾(٣). ﴿ **والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ماأنزل الله فأحبط أعمالهم**﴾(٤).

---

(١) برويز شاهكار رسالت: ٤٤٦.
(٢) بخش. فرقة أهل القرآن: ٣٢ – ٣٣.
(٣) محمد: ١.
(٤) محمد: ٨ – ٩.

فمما دعوا إليه الاكتفاء بالقرآن وحده. قالوا: حسبنا كتاب الله. قال الجكرالوى: «إن الكتاب المجيد ذكر كل شيء يحتاج إليه فى الدين مفصلا ومشروحا من كل وجه. فما الداعى إلى الوحى الخفى؟ وما الداعى إلى السنة؟»(١) وأنكروا مصدرية السنة وكونها وحيا من الله فقالوا: «يعتقد أهل الحديث أن نزول الوحي من الله عز وجل إلى نبيه عليه السلام قسمان جلي متلو وخفي غير متلو. والأول هو القرآن، والثاني هو حديث الرسول عليه السلام.. غير أن الوحي الالهي هو الذي لا يمكن الاتيان بمثله، بيد أن وحي الأحاديث قد أتى له مثيل بمئات الألوف من الأحاديث الموضوعة»(٢). «وأنا لم نؤمر إلا باتباع ماأنزله الله بالوحي»(٣).

ونفوا حجيتها اخلاصا منهم لدين الله وبعدا عن الشرك به. وقالوا: ﴿ **إن الحكم إلا لله** ﴾(٤). قال الخواجة أحمد الدين: «قد وضع الناس لاحياء الشرك طرقا متعددة. فقالوا إنا نؤمن أن الله هو الأصل المطاع غير أن الله أمرنا باتباع رسوله، فهو اتباع مضاف إلى الأصل المطاع، وبناء على هذا الدليل الفاسد يصححون جميع أنواع الشرك»(٥).

وزعموا أن السنة لم تكن شرعا عند النبي نفسه وعند صحابته. قال برويز: «ولو كانت السنة جزءا من الدين لوضع لها الرسول صلى الله عليه وسلم منهجا كمنهج القرآن، من الكتابة والحفظ والمذاكرة، ولا يفارق الدنيا إلا بعد راحة بال على هذا الجزء من الدين... فلم يفعل شيئا لسنته بل نهى عن كتابتها. وبهذا الرأي صدع الحافظ أسلم ومحب الحق عظيم أبادى من قبل»(٦).

---

(١) مجلة إشاعة القرآ. العدد ٣/٤٩. إشاعة السنة: سنة ١٩٠٢، عدد ١٩/٢٨٦؛ حشمت على خليفة عبد الله. مجلة إشاعة القرآن، ديسمبر ١٩٢٧/٤.

(٢) مجلة إشاعة القرآن سنة ١٩٠٣، عدد ٤/٣٥: مجلة إشاعة السنة: ١٩٠٢، ١٩/٢٣٥، الحافظ محب الحق. بلاغ الحقك ١٩.

(٣) المباحثة: ٨١، مقام حديث: ١٣٩.

(٤) الأنعام: ٥٧.

(٥) الجكرالوى. المباحثة: ٤٢.

(٦) مقام حديث: ٧، ١٠٤، ١١٠: مطالعة حديث سيد مقبول أحمد: ١٠.

وقالوا: «إن المخاطبين من الصحابة هم المطالبون بطاعة الرسول فيما أمرهم به أو نهاهم عنه». قال الخواجة: «إعلم أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت طاعة مقيدة بزمنه، وامتثال أحكامه لا تتجاوز حياته. وقد أوصد هذا الباب منذ وفاته عليه السلام»(١).

وفي توجيه النقد للسنة سندا ومتنا ماينفي الالتزام والتدين بها. قال الحافظ أسلم: «إن الأحاديث قد انتقدت علميا بما أفقدها صفة التدين لأن الأمور الدينية لا يدخلها النقد وآراء الرجال، ولأن الاعتراضات الموجهة للاسلام من غير أهله لا تأتي إلا من الأحاديث التي أقر المسلمون بصحتها. وهي موضوعة الأصل لا صلة لها بالدين»(٢).

وادّعوا أن في اتباع السنة مايفرق الجماعة المسلمة ويصرف بعضها عن بعض.

قال الجكرالوي: «لا ترتفع الفرقة والتشتت عن المسلمين، ولن يجمعهم لواء ولا يضمهم مكتب فكر موحد، مابقوا متمسكين بروايات زيد وعمر»(٣). وقال برويز: «قد فاق تقديس هذه الكتب – كتب السنة – كل التصورات البشرية مع أنها جزء من مؤامرة أعجمية استهدفت النيل من الاسلام وأهله»(٤).

ولم يثقوا بنسبة الأحاديث إلى صاحب الرسالة. قال أسلم: «قد كان للعواطف البشرية يد في تصحيح السنة وتضعيفها. وإنا لنرى توثيق الرواة لم ينحصر في الصدق فحسب بل تجاوزه إلى التلمذة والتشيخ، والمشاركة الفكرية، والعواطف والميول الوجدانية»(٥).

وقال عبدالله الجكرالوي: «بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بمئات

---

(١) مجلة البيان. عدد أغسطس: ١٩٥١، ٣٢.
(٢) مقام حديث: ١٥٤.
(٣) مجلة إشاعة القرآن. عددنوفمبر: ١٩٠٦/٣٩.
(٤) شاهكار رسالت: ٤٤٦.
(٥) مقام حديث: ١٢٥.

السنين نحت بعض الناس هذه الهزليات من عند أنفسهم. ثم نسبوها إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو منها براء»[١].

وقال أسلم أيضا: «لا تتجاوز السنة مرحلة أخبار الآحاد طبقا للاصول التي أقرها المحدثون، ولا تبلغ رواية من رواياتها إلى التواتر المفيد للعلم واليقين»[٢].

ولم تنقطع هذه الدعاوي عن الانتشار في كثير من البلاد الهندية وحتى الغربية والأوربية بعد انقضاء زعمائها وموتهم.

ويتلخص من هذه الآراء والأفكار اتجاهان اثنان هما: القول بالاكتفاء بالقرآن وحده في أمور الدنيا والآخرة كلها، وإلغاء حجية السنة النبوية في الدين إذ لا مجال لاقحامها فيه.

وتتالى أمر هذه الجماعة في العصر الحاضر أربع فرق: فرقة أمت مسلم أهل الذكر والقرآن، وفرقة أمة مسلمة، وفرقة طلوع إسلام، وتحريك تعمير إنسانيت والمركز الرئيسي لكل واحدة منها بلاهور. ولها مراكز فرعية أخرى كثيرة موزعة على المدن.

والفرقة الأولى فرقة أمت مسلم أهل الذكر والقرآن هي فرقة أهل القرآن التي أسسها الجكرالوي من قبل، جدد نشاطها وبعثها باسمها الجديد من بعده أخص تلامذته به محمد رضمان المتوفي ١٩٣٩. وهو الذي أصدر باسمها مجلة بلاغ القرآن التي كانت تحمل إلى آفاق باكستان آراء فرقة أهل القرآن. وأكثر أتباعها من العامة والمرضى المعوقين والشيوخ. وقد قام بالاشراف عليها بعد وفاة مجددها محمد علي رسول فكري الشديد العداء للسنة. ولهذه الفرقة الآيلة إلى الانقراض مساجد خاصة بها تؤدي فيها ثلاث صلوات في اليوم والليلة. ومايصدر عنها وعن جملة الأقلام فيها من الكتب والمقالات لا يحمل أسماء أصحابها، ولكنها تنشر جميعها باسم إدارة بلاغ القرآن.

---

(١) ترك افتراء تعامل: ١٢.

(٢) تعليمات قرآن: ١٠٢، مجلة أهل حديث، ابريل ١٩٣٦/ ٣٠٩.

والفرقة الثانية، فرقة أمة مسلمة، هي فرقة الخواجة أحمد الدين التي أسسها بأمر تسر بالهند ثم انتقل بها إلى لاهور بعد الاستقلال ١٩٤٧. وهي متميزة بفئات من كبار الكتاب والمثقفين. وكانت تصدر مجلتين: الأولى البلاغ التي توقفت عن الصدور ١٩٣٩، والثانية البيان التي تعطلت في الستينات. وقد انقسم قادة هذه الفرقة، ونضبت مواردها المالية. ولكنها عرفت في الفترة الأخيرة تجديدا لأطرها وتجمعات لاتباعها بكل المدن بباكستان. وهي أكثر اتباعا من الفرقة الأولى. وكان يذود الخطر عنها مجاملتها للمسلمين في الظاهر وإبقاؤها على الصلوات الخمس وعلى صيام شهر رمضان بأكلمه. دورها الهجومي عنيد عن طريق مجلة فيض الاسلام، وبواسطة الاجتماعات ومايقوم به اتباعها الشبان والمثقفون من جهود في سبيل دعوتهم وخاصة في الارساليات التي تضطلع بمهمة النصح والارشاد. وتستعد هذه الفرقة لاعادة إصدار مجلتها السابقة البيان.

والفرقة الثالثة، فرقة طلوع إسلام، هي أنشط الفرق المعاصرة وهي التي أسسها من قبل غلام أحمد برويز بدلهي. وقد أضعفها هجوم علماء الاسلام على قائدها وتكفيرهم له. وبعد فترة استعادت نشاطها وذاع صيتها وأصبح لها بأوربا وغيرها اتباع ودعاة. ويقوم راعيها في العطلة من كل اسبوع منذ أكثر من ثلاثين عاما بالقاء درس في التفسير تحضره جمهرة من المثقفين رجالا ونساء. وترسل أشرطة تسجيل هذه الدروس إلى سائر مراكز الفرقة بأكثر من عشرين مدينة. ولها مجلتها طلوع إسلام التي لم تتوقف عن القيام منذ أكثر من أربعين عاما، وقد عرفت هذه الفرقة توافد عناصرة كثيرة من الفرق الأخرى عليها مثل الأمر تسريين، وأهل الذكر والقرآن. وهي أكبر الحركات أتباعا ينتسب إليها جمهرة من المثقفين وعدد من أصحاب النفوذ والسلطة.

والفرقة الرابعة وهي أحدث الفرق نشأة وتكوينا. وتعرف بحركة تعمير إنسانيت، يتزعمها عبدالخالق فالوادة وينفق عليها من أمواله الخاصة. وقد اشتهر من بين قادتها خطيبها القاضي كفاية الله وهي حركة متميزة عن غيرها، غير تابعة

لأية فرقة من الفرق الأخرى القديمة وبما تبذله من جهود وتقوم به من نشاط تريد أن تهيمن وتسيطر على غيرها من حركات القرآن السابقة الأخرى. ومما يفسر اتجاه الحركة قول خطيبها القاضي عن الجكرالوي: «إن أفكاره حول السنة لم تتجاوز ماأمر الله به من اتباع ماأنزل الله، وإن لأفكار عبدالله اليد الطولى في القضاء على الجمود العقلي الذي كان مفروضا على المسلمين قبله. وللقاضي عدة كتب ومؤلفات منها: القرآن والعقل، وتفسير القرآن بالقرآن، والقرآن والعلوم. وكتبه كلها تطبع طبعا أنيقا وتوزع على الناس مجانا. وليست للحركة صحيفة أو مجلة وإن كانت تخطط لاصدار صحيفة اسبوعية. وهي تكتفي في الوقت الحاضر بنشر مقالاتها في صحيفة المشرق اليومية(١).

ومن هذا الاستعراض المجمل للحركات التي ظهرت ببلاد الهند وباكستان، والتي انتشرت آراؤها وتعاليمها في العالم الغربي وبعض البلاد العربية، لتعود إلينا باللغة العربية وبغيرها من اللغات الحية، مورية نار الفتنة التي أوقدت ببلاد المسلمين عامة يزداد الخطر المحدق بالاسلام والمسلمين فظاعة، وتظهر من خلاله النوايا المبيتة التي يعمل من أجل تحقيقها أعداؤه.

وهكذا باسم البحث العلمي الذي يدّعونه لأنفسهم باطلا وباسم الاسلام والدراسات الاسلامية التي لا يلمون بشيء منها، يوجهون للفكر الاسلامي أخطر القوارع لدكه من أساسه، وإلغاء مابينه وبين غيره من مميزات وفروق، قصد طي آثار الحضارة الاسلامية، وإذابة المجتمع الاسلامي، والقضاء على هويته ومقوماته. ودليل ذلك أن حركة إنكار السنة في الشرق والغرب لم تقف عند القول بعدم حجيتها، أو عند الدعوة إلى عدم العمل بها، وإن كان ذلك في ذاته منكرا من القول، وكفرا وتعطيلا لأحكام الله وشريعته، ولكنها تجاوزت ذلك إلى تأويل القرآن وتفسيره بغير علم، وإخضاعه لما يرونه أو يعتقدونه من اتجاهات أو أفكار، وتصوير الاسلام بما يتفق وأغراضهم، ويخدم ميولهم ومصالحهم، لا بما أراده الله من إرساء قواعد العدل والأمن والسلم

(١) بخش. فرقة أهل القرآن: ٣٩ – ٤٨.

والمساواة، وبناء الحياة الانسانية على المنهج الرباني الذي دعت إليه الرسالة، وحقيقة الوحي في الصدر الأول من تاريخ الأمة الاسلامية. وكان فيه الاعلان القولي والبيان العملي للناس كافة يردد عليهم النداء: ﴿**ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم. ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين**﴾(١).

ولعل المؤمنين الصادقين والمسلمين الواعين يقدّرون هذه الأضواع، فيتقدمون بما فرضه الله عليهم من دعوة الناس إلى الحق وإلى صراط مستقيم. قال جل وعلا: ﴿**ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين**﴾(٢). وإذا وجدوا معارضة أو جحودا، أو مخالفة قاطعة ونزاعا في الدين، فإن أمر الله لهم بالمضي في الدعوة قائم: ﴿**فلا ينازعنك في الأمر وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم وإن جدلوك فقل الله أعلم بما تعلمون الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون**﴾(٣).

وقد حدد تعالى منهج الدعوة وسبيلها الناجعة في قوله: ﴿**ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾(٤).

والأمر في هذا المجال غير مقصور على طائفة دون أخرى، أو جهة دون غيرها، بل هو مسؤولية وواجب على المسلمين جميعا، على الدول الاسلامية وحكوماتها، وعلى أجهزة الثقافة والاعلام بالدول الاسلامية، وعلى الجامعات الاسلامية ومراكز البحث بها، وعلى أئمة الدين والدعاة والخطباء. كل في النطاق الذي يستطيع منه أن يتحرك لحماية الملة، ليدافع عن الذين آمنوا بالطريق المتعينة للدفاع. ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة**

---

(١) الأحقاف: ٣١ – ٣٢.
(٢) فصلت: ٣٣.
(٣) الحج: ٦٧ – ٦٩.
(٤) النحل: ١٢٥.

ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا﴾[1]. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

(١) النساء: ٤٤ – ٤٥.

مراجع البحث

- القرآن.
- أحمد أمين. فجر الاسلام. ط. ٣، مصر.
- الأعظمي (محمد مصطفى). دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه. الرياض ١٣٩٦.
- بخش (خادم إلهي حسين). فرقة أهل القرآن بباكستان وموقف الاسلام منها. رسالة جامعية. جامعة أم القرى.
- برويز (غلام أحمد). شاهكار رسالت.
- برويز (غلام أحمد) مقام حديث. ط. ٣. ١٩٧٦.
- البغوي (الحسين بن مسعود). شرح السنة. تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط. ط ٢. بيروت.
- بلاغ الحق. الهند.
- (يوسف) البويطي. المختصر الأكبر.
- البيهقي. دلائل النبوة. بيروت. ١٤٠٥.
- ابن تيمية. رفع الملام.
- تَ = الترمذي (أبوعيسى محمد بن عيسى بن سوده). اسطنبول ١٩٨١، ٥ أجزاء.
- جراجبوري (الحافظ محمد أسلم). تعليمات قرآن.
- جراجبوري (الحافظ محمد أسلم). نوادرات.
- جراغ علي. تحقيق الجهاد، ترجمة غلام حسين وعبدالغفور. لاهور ١٣١٢– ١٩١٣.
- جراغ علي ونواب يارجنك. أعظم الكلام في ارتقاء الاسلام. ترجمة مولانا عبدالحق. لاهور. ١٩١١.
- الجكرالوي (عبدالله) شرك افتراء تعامل. لاهور.
- الجكرالوى (عبد الله) المباحثة. لاهور.
- ك = الحاكم النيسابوري. المستدرك على الصحيحين. ٤ أجزاء.
- ابن حجر (أحمد بن علي). التهذيب. ط١. الهند. ١٢ مجلد.
- ابن حجر (أحمد بن علي). نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الاذكار.

– ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. دار إيحاء الكتب العربية، مصر ١٣٨١.
– ابن حزم. إحكام الأحكام في أصول الأحكام. مصر.
– حكيم (محمد طاهر). السنة في مواجهة الأباطيل. جدة.
– ابن حنبل (أحمد) حَم = المسند؛ تحقيق أحمد محمد شاكر. مصر. ٢ جزءا.
– ابن حنبل (أحمد) حَم = المسند ط. اسطنبول ١٩٨٢، ٦ أجزاء.
– الخطيب البغدادي (أبوبكر أحمد بن علي). تاريخ بغداد. مصر ١٣٤٩.
– الدارمي. المسند.
– دَ = أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني). السنن. ط. اسطنبول، ٥ أجزاء.
– الدهلوي (شاه ولي الله). حجة الله البالغة. بيروت. جزآن.
– الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان). تذكرة الحفاظ. ط. الهند، ٥ أجزاء.
– الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان) رسالة في الرواة الثقات المتكلم فيها بما لا يوجب ردهم.
– الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان) المختصر.
– الرازي (ابن أبي حاتم). الجرح والتعديل. ط. الهند. ١٣٧٥.
– رشيد رضا (محمد). تفسير المنار.
– أبو رية (محمود). أضواء على السنة المحمدية. مصر.
– السباعي (مصطفى حسين). السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي. مصر، ط. ٤.
– السمعاني (أبو سعيد عبدالكريم بن محمد). الأنساب. ط. بيروت ١٩٨٠، ١٠ أجزاء.
– سيد قطب. في ظلال القرآن. مصر، ٦ أجزاء.
– سيد مقبول أحمد. مطالعة حديث. الهند. ١٩٥٢.
– السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن). الاتقان فثي علوم القرآن. مصر. ١٣٥٤.
– السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن) تاريخ الخلفاء. دمشق ١٩٧٤.
– السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن) طبقات الحفاظ. ط١. بيروت، ١٩٨٣.
– السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن) مفتاح الجنة. مصر.
– الشاطبي (أبو إسحاق). الاعتصام. ط. بيروت، جزآن.
– أبو شادي (أحمد زكي). ثورة الاسلام.
– الشافعي (محمد بن إدريس). الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت.
– الشافعي (محمد بن إدريس) المسند. بيروت.

– شلتوت (محمود). الاسلام عقيدة وشريعة. مصر.
– ابن الصلاح (أبو عمرو عثمان الشهرزوري). مقدمة علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دمشق ١٩٨٦.
– الطبري (ابن جرير). التفسير. جامع البيان في تأويل آي القرآن. ط. مصر.
– ابن عاشور (محمد الطاهر). التحرير والتنوير. تونس، ٣٠ جزءا.
– ابن عاشور (محمد الطاهر) مقاصد الشريعة. تونس
– ابن عاشور (محمد الفاضل). محاضرة عن التربية مسجلة.
– علي حسب الله. أصول التشريع الاسلامي. مصر.
– علي حسن عبدالقادر. نظرة عامة في تاريخ الفقه الاسلامي. ط. ٢، مصر ١٩٥٦.
– الغارة على الاسلام.
– الغزالي (محمد). دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين. ط. ٢. ١٣٨٣ / ١٩٦٣.
– القادري (ماهر). قول فيصل. لاهور. ١٩٦٠.
– القاري (علي). الموضوعات الكبرى. شركة الصحافة العثمانية، اسطنبول بعد ١٣٠٨.
– القرافي (شهاب الدين أحمد). الاحكام في تمييز الفتاوى من الأحكام.
– القرافي (شهاب الدين أحمد) الفروق. ط. مصر، ٤ أجزاء.
– ابن قيم الجوزية (محمد بن أبى بكر). زاد المعاد فى هدى خير العباد.
– ابن قيم الجوزية (محمد بن أبى بكر) الصواعق المرسلة.
– ابن كثير (أبوالفداء). اختصار علوم الحديث.
– ابن كثير (أبوالفداء) البداية والنهاية. بيروت، ١٤ جزءا.
– جَه = ابن ماجة (محمد بن يزيد). السنن. ط. اسطنبول ١٩٨١، جزآن.
– مجلة الاعتصام اللاهورية.
– مجلة كشاعة السنة اللاهورية.
– مجلة إشاعة القرآن اللاهورية.
– مجلة أهل حديث الأمر تسرية.
– مجلة البيان الأمر تسرية، اللاهورية.
– مجلة المنار.
– مَ = مسلم (بن الحجاج القشيري النيسابوري). الصحيح. ط. اسطنبول، ٣ أجزاء.
– مالك (بن أنس). ط– الموطأ. ط. اسطنبول، جزآن.

– الندوي. الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية. ط.٣، القاهرة.
– نَ = النسائي (أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب). السنن. ط. اسطنبول ١٩٨١، ٨ أجزاء.
– النووي (محي الدين أبوبكر يحيى بن شرف). شرح مسلم. ١٨ جزءا.